الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

شعر زيد الخيل الطائي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدّمَة

الحمد لله الملك الحق المبين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الشاهد الصادق الأمين، وعلى صحبه المُطهَّرين الذين كان بعضهم أولياء بعض يسعى بذمتهم أدناهم؛ وإن زيد الخير، رضي الله عنه، فارق الدنيا صحابياً مرضياً، وإنما العناية بآثاره وفاءً له بذمة ورعاية حرمة.

وكان حُبّب إليّ منذ نيف وعشرين سنة أن أجمع أشعار الطائيين الجاهليين والمخضرمين، فبدأت بالكبار المرموقين، وكان من أول ما تتبعت وأوعيت شعر زيد الخيل، رضي الله عنه، وصرفتني صوارف عن إتمام ما بدأت، ولم أخرج ما تحصل لي من شعره تطلعاً مني إلى أن يعثر المنقبون على مخطوطة لديوانه المفقود تجعل العمل في صورته المثلى، فإن ديوانه كان بين يدي الأدباء الأقدمين كعبد القادر البغدادي ومنهم من كان له صنعة فيه[1].

وصدر خلال تلك السنوات من كتب التراث الكثير تضيف إلى ما جمعناه شيئاً قليلاً، وتمنحه من التوثيق والضبط كثيراً. وطال التلبّث ولم يوضع بين أيدي الناس شعر هذا الفارس العلَم، ولما أعلمنا الزركلي في آخر طبعة لأعلامه أن الدكتور نوري حمودي القيسي العراقي نشر شعر زيد الخيل[2] مجموعاً، جهدنا أن نطلع على العمل، ولكن يبدو أن هذه الطبعة التي صدرت

(١) انظر الفهرست ص ١٢٣، ط. دار المعرفة، بيروت.

(٢) الأعلام ٦١/٣، ط. ٥ دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٠.

في النجف عام ١٩٧١ كانت من محدوديّة الانتشار ما جعل المكتبات الوطنية المركزية خارج العراق خلواً من نسخة منها، وقد تطلبناها أيضاً عند من شهروا بالدراسة والتحقيق فافتقدناها. وما طِلابُنا إياها لنلقي عملاً تسقطنا مادته سنين تباعاً، وأعددنا لإخراجه تصميماً علمياً وطيداً، ولكن لنبني على آثار من ابتدر الأسبقية مستفيدين ومتممين.

كانت عديدة تلك الكتب التراثية التي استخرجنا منها شعر زيد الخيل، وأدرجناها في ثبت المراجع، وقلّ منها مرجع لم يمنحنا مع الأخبار شعراً، ولقد تخطّفت تلك الكتب شعر زيد الخيل وتوزّعته شواهد وفق أغراضها، فإذا أكثر شعره مقتطفات أو قصائد متناثرة فقدت غير قليل منها أو أبياتاً خُلِّفت أحاد أو أزواجاً(١). وكانت حصالة ما تجمع زهاء مئتين وخمسين بيتاً وهي القِلةُ مما بقي لشاعر مقل.

وكان علينا أن نرتب ما بقي لنا من هذا الإرث وأن نضبط صورته اللفظية، وأن نفسر لغته وتراكيبه وصوره، فانتهجنا هذا النهج فيما قل أو أكثر عددَ أبيات.

- وفي تجميع أبيات القصيدة وترتيبها ما كنا لنعتمد وحدة الوزن والقافية مقياساً قاطعاً على أن الأبيات من قصيدة واحدة، فالشاعر قد تكون له غير قصيدة على بحر وقافية، ولكنا كنا نقطع الشك بنسبة بعضها إلى بعض فيما يرد من أبياتٍ مشتركة بين الروايات المتعددة والمتفاوتة في عدتها. وإذا فقدنا العنصر المشترك لم نرفض القرائن المعنوية، فإن وحدة الغرض أو الموضوع دلائل مُرجّحة وإن كانت ظنية، فضممناها إليها على احتراس منبّهين على ذلك في التعليق أو الشرح، وفي صورة الترتيب بإحداث فاصل ما بين المتوالي وبين غيره الذي ضُمَّ إليه. وبذلك استطعنا أن نرتفع ببعض المقطوعات إلى أن تكون قصائد مقتضبة، وكوّنا صورة لعمل الشاعر أدنى إلى التمام مستعينين على ذلك بالمقابلة ما بين الروايات، وبالقرائن المادية، وبالحاسّة الفنية التي ترد البيت إلى موضعه الموائم الملائم.

(١) في ترتيب ديوانه قدمنا القصائد والمقطوعات ثم الأبيات الأزواج ثم المفردة.

ولم يمنح التخريج الأبيات أو القصائد حقها من الترتيب وحده بل قدم أيضاً صور رواياتها في مظانها على ترتيبها فيها بخطة ترسمت الوضوح والدقة والإيجاز.

ـ وضبطنا الصورة اللفظية للشعر بالمقابلة ما بين الروايات بيتاً بيتاً وفق تسلسل الترتيب، وأياً كان الاختلاف في الحرف أو الكلمة أو الجملة فقد أثبتت صورته، على تعدده، في بيان مفصل، مقيداً برقم الصفحة في مرجعه.

ـ وكان التعليق بعد التخريج واختلاف الروايات أو قبلهما أحياناً بياناً توضيحياً لجوهريات تتصل بالترتيب أو الرواية أو نسبة بعض الأبيات إلى القصيدة أو قطع تلك النسبة إليها في معرض من الأدلة والاستنتاج والترجيح.

ـ وآثرنا في تفسير الشعر أن نقتصر على التفسير اللغوي إلاّ ما اضطررنا إليه من الإطناب في بسط المعنى عند الترجيح ما بين المعاني المختلفة، وما كان تفسيراً لمن سبقنا أثبتناه معزواً إليه، ووازنا بين الشروح ورجحنا ما بينها بالأدلَّة والقرائن، وكان الشراح أغضوا عن كثير مما يحتاج إلى بيان فجلونا ما غمض جهد المستطاع بما تيسر من أدلَّة اللغة والنحو. وفي كلٍّ ذلك كانت المعاجم وكتب اللغة والمعاني والبلدان والأنساب مستشاراً ومعتمداً، فما كان من تفسير وتوضيح فهو من معطياتها.

ووطأنا لشعرِ زيد الخيل بدراسة تاريخية أدبية مركزة تضع الشعر والشاعر حيث كان من قبيلته، وأحداث عصره، وأدب ذلك العصر واتجاهاته، فاشتملت تلك التوطئة على ثلاثة فروع: قبيلة الشاعر، وسيرته، وخصائص أدبه.

ـ وأرّخنا لقبيلة طيّىء منوهين بموقعها الجغرافي ودورها التاريخي في أحداث الجاهلية بحديث موجز عن أصول القوم وأمجادهم، وتجمعاتهم، وتفاعلهم مع البيئة داخل الجزيرة، ومع المحيط من حولهم خارجها، وعن أثر ذلك في كيانها ورجالها.

ـ وعرضنا لسيرته نسبَتين ما برز من خطوطها من أخبار خَضعت لمعايير

من النقد والتمحيص أَضْفَت على معطياتها موضوعية مضمونة.

وبدأنا بتحقيق المدة الإسلاميّة من حياته متحرّين عن تاريخ وفاته، وعن السنِّ التي مات عنها. وكان لنا في شهادة رسول الله ﷺ، له بسيماء الخير أعظم النفع في توثيق ما كان له من التفوق في الجاهلية. ومنها انطلقنا إلى استنباط أخصِّ سماته من الرجولة والعقل والشجاعة والسؤدد والبيان البليغ، موضحين كلاًّ منها، ومؤيِّدين ذلك بالأدلَّة من شعره.

وبذلك استطعنا أن نكتشف من أقواله وأفعاله المنطلقات الأخلاقية ومصادرها في حياته الجاهلية، فألمعنا إلى أثر البيئة الجبلية والقبلية في سيرته وسلوكه، في عصبيته لقبيلته وفي اتجاهاته الفردية، وإلى ما كسب في ذلك من دراية في شؤون الغزو، وإلى المدى الحيوي الذي كان يتحرك فيه وهو مكتظٌّ بالقبائل المناوئة.

ـ وفي دراسة شعره توخينا الإيجاز ولكن عوّلنا على كلٍّ ما هو جوهري أساسي، فأشرنا إلى مصادر شعره، وإلى دواعي الأقدمين لعنايتهم به اختياراً أو تفسيراً أو استشهاداً، وإلى تقويم النقاد منهم لهذا الشعر عامة ولمنزلة صاحبه.

وحرصنا على أن نستقصي أغراضه وخصائص أسلوبه لاستنباط تقويم ينصف الشاعر ويضعه موضعه الحقّ من تاريخ الأدب. فوجدنا شعر الحرب أوسع أغراضه طرّاً وفيه تغيب جملة من أغراض فرعية، وأن منه ما تهيمن عليه روح قبلية غالبة، وأنّ منه ما تسيطر عليه فرديَّة ظاهرة.

وفحصنا نظام القصيدة في شعره وأقسامها، ومادتها، وانبثاقها من خبراته وذاته وواقع حياته العملية، فاكتشفنا خير ما يمتاز به شعره، وهو الأصالة والواقعية. وتقصَّينا مصادر صوره وتعابيره وأنواعها للدِّلالة على ذلك وكشف لنا هذا الاستقصاء عن طبيعة الشاعر ومزاجِه النفسي ودوافعه للنظم، وتبيّنا من خلال النماذج والتحليل ما كان يتمتع به من مقدرة فنية، وموهبة مبدعة، لم يكن زيد الخيل مَعْنيّاً بتطويرها وتحبيرها، إذ كان له من المسؤوليات ما يصرفه عن الإيغال في عالم الشعر والفنّ.

وفي خاتمة الدراسة، دللنا على القيمة التاريخيَّة واللغويَّة والأدبيَّة لشعره.

وعليّ أن أنوّه بالعون الذي بذله لي الأستاذان المحققان أحمد يوسف الدقاق وعبد العزيز رباح لما تفضلا به من اللَّفتات العلميَّة الكريمة. والكتاب في الحقِّ مدين للدقَّة منهما في ضبطه، وللذوق الرفيع لهما في إخراجه، فجزاهما الله خير جزاء، ولله الحمد في الأولى والآخرة.

د. / أحمد مختار البزرة
كلية اللغة العربية ـ الجامعة الإسلامية
المدينة المنورة

ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ

زيد الخيل الطائي
قبيلته وسيرته وشعره

زيد الخيل شاعر طائي، وبقبيلته عَزّ وبنفسه، وبفروسيته شُهر وبشعره، وعلى من أراد أن يتعرف مكانه، من تاريخ أدب العرب القديم، أن يطيف بالعوامل التي اكتنفته وصنعته من قومه وأرضه، ومن شخصه وذات نفسه، ومن أحداث عصره، ليعلم، عن دراية، منزلته بين الشعراء وعند النقاد القدماء.

قبيلة طيّىء
الموقع الجغرافي والدور التاريخي

إن أمجاد اليمن القديمة وشهرة ممالكها العظيمة، جعلت القبائل التي نزحت عن اليمن والسراة، بعد تداعي سد مأرب، وخراب العواصم وسقوط الممالك، تستمسك بأنسابها معتزية إلى قحطان أبي عرب الجنوب، على الرغم من أنهم نزلوا في أوطان بعيدة بين العدنانيين وغيرهم. ولم يسمحوا للمحيط أن يصهرهم بغيرهم من القبائل على ما كان من أسباب تُعِدّ لاندماج سكاني، ودواعٍ لا تحصى من أحوال البيئة والمعاش والحروب، والسبي والتزاوج، والمصالح الحيوية المشتركة في التبادل الاقتصادي، والأحلاف والولاء، ثم تقديس البيت الحرام وإجلاله والحج إليه؛ وعلى ما حققته وحدة المشاعر والمُثُل وأنماط الحياة والفكر واللغة والأدب من تجانس بينهم ظل الانتماء إلى قحطان وعدنان فاصلاً أكبر ما بين مجموعات القبائل والأقوام[١].

(١) قالت ابنة حاتم الطائي لأخيها عدي وهي تحثه على أن يفد على رسول الله ﷺ: «أرى والله أن =

ويروي النسابون أن قبيلة يمنية ما زال يطوي بها سيدها المياه والمناهل حتى استقر بها بين الجبال المنيعة أجأ وسلمى والعوجاء، وأن هذا الارتياد الواسع في الأرض منحها اسمها: طيئاً(١). ولسنا معنيين بمناقشة صحة العلة في التسمية، وإن كان ثمة قبائل يمنية أشد إمعاناً في النزوح - إذ استقر اللخميون في العراق والغسانيون في الشام - ولكن تاريخ ما قبل النزوح مجهول لنا، وليس في آثار طيّـىء الأدبية شواهد عليه إلا دعوى الانتساب، وهي تدين بلغتها وأدبها إلى تلك البقعة من الأرض التي استوطنتها، وأنساها طول العهد ماضيها الأول.

وإذا كانت طيّـىء غلبت حقّاً أَسَداً، القبيلة العدنانية على تلك البقعة، فإنَّ المنطَق التاريخي لا يرفض هذا الخبر إذ من شأن المقتحم الغريب أن يطلب مكاناً حصيناً يدرأ عنه طمع الطامعين، وكانت المنطقة الجبلية التي لاذت بها طيّـىء أمنع بلاد الله طبيعة حصينة. وهي آكام وسلاسل من الجبال تمتد في الآفاق كأنها القطعان من الإبل، من تخفَّى فيها امتنع على الطالبين. وظلَّت هذه البلاد معتصم الطائيين في العصر الجاهلي يتحدّون على المنعة أشداء الملوك(٢). وكان الطائيون يهابونها ويستشعرون نحوها غموضاً

تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبيّاً فالسابق إليه له فضيلة، وإن يكن ملكاً فلن تذل في عز اليمن وأنت أنت» (الطبري: ١٨٨/٢، دار الكتب العلمية، بيروت ط. ١ ١٩٨٧).

فهذه المرأة تستمسك بانتمائها القديم وما يطيف به من فخار واعتزاز، وقد غلب الإسلام على أرضها وقومها وعلى جزيرة العرب، وتدخل في الإسلام حاملة معها وراثات تاريخية، وهي جزء من كيانها النفسي والشعوري.

وقد تخطى الإسلام بنجاح معجز هذا الفاصل الصعب الأرعن، ولما أوقظت الفتن بعد عهد الخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم - وصيح بالعصبية مرة أخرى كانت كلٌّ من القحطانية والعدنانية أكبر تجمعين استثمرتهما السياسة لصالحها زمناً غير يسير، ولما غلبت حياة المدن على التوضعات القبلية الأولى، وغمرت الناس في ظلِّ السلطان الواحد لم ينس كثير من الناس الانتماء إلى أصولهم الأولى، ولكن ذكرى، ورمزَ فخار. [انظر كتابنا الأسر والسجن في شعر العرب ص ١٤٧ - ٢٠٠].

(١) انظر الأغاني ١٧٢/١٧، ط. دار الثقافة، بيروت. وشواهد العيني على الخزانة: ٣٤٦/١.

(٢) قال عارف الطائي لما تهدده عمرو بن هند ملك الحيرة بالقتل:

أيوعدني والرمل بيني وبينه ... تأمّلْ رويداً ما أمامة من هند =

مسترهباً[1]، وقوى خفية[2]، انتهى بهم إلى حال من التقديس لها والعبادة لبعضها[3].

ولا شك أن هذا التأثر الشعوري والنفسي دليل على شدة التصاق طيّـىء بأرضها، وعلى أثرها في تكوينها ونشاطها وتحركاتها، وما ظفروا به من أمن وقرار في شعابها ووديانها كان مدعاة لأن يجمّوا وأن يتكاثروا. ومن هذا التكاثر بدأت طيّـىء تتسنم دوراً فعالاً في شرقيّ الحجاز. ونظرة في كتب الأنساب تدلُّ على أنَّهم نموا نمواً مواتياً. فإذا طيّـىء الأمّ عمائر وبطون وأفخاذ وعشائر من ذوات العدد والفعال[4]. وإذا علمنا أن بيئة الجبال تنبت أجيالاً أصحاء فيهم القوة والجلد، وحشوهم الخشونة والشدة والغلظة، لم يكن عسيراً على القبائل والبطون أن تتوسع في المنازل. والحقّ أن طيئاً ما زالت آخذة في الانتشار المتلاحم حتى اجتازت منطقة الجبال إلى الرمال وطلبت الكلأ والماء في السهول حتى تاخمت مرابعها نجداً.

ويسجل تاريخ القبائل أن طيئاً كانت في شرقي الحجاز تضاهي أسداً، القبيلة المضريَّة، عدداً ونفوذاً وأرضاً[5]. فكانت في تلك الجهـة إحدى القوتين الكبيرتين. وقد دنا ببطون طيّـىء الزحف والتمكن في الأرض إلى

= ومن أجـا حـولي رعـان كـأنهـا قنـابـل خيـل من كميت ومن ورد

انظر النقائض: ٢/١٠٨١ ـ ١٠٨٣.

(١) إذا أجـأ تـلفـعـت بـشـعـافـهـا علـيّ وأمـسـت بـالـعـمـاء مـكـللة

اللسان (أجأ)، والعماء: السحاب.

(٢) قال أبو النجم:

قد حيرته جن سلمى وأجأ

(اللسان: أجأ).

(٣) كان لهم جبل أسود يعبدونه ويعبدون مناعاً وهو جبل «أجأ». ذكر السهيلي في وفد طيء إلى النبي ﷺ وعلى رأسهم زيد الخيل أن النبيَّ قال لهم: «أنا خير لكم من الجبل الأسود الذي تعبدون من دون الله ومما حازت مناع من كلِّ ضار غير نفاع. .»؛ الروض الأنف: ٣٤٢، وانظر الأغاني (١٧/١٧٥).

(٤) انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ص ٤٠٣ ـ ٤٠٥.

(٥) انظر «عجالة المبتدي وفضالة المنتهي» لأبي بكر محمد بن عثمان الحازمي، ص ٦، ط. ٢، القاهرة ١٩٧٣.

مشارف «فَيْد» وهي ذات موقع بالغ الأهمية أشبه بمحطة للقوافل، ومن غلب عليها سيطر على الطريق ما بين مكة والعراق. وكان ثمة صراع ما بين القبائل المضرية وطيّىء عليها لما كان يفرض موقعها من تماس حيوي بينهم. ومن يطّلع على ما كتبه البكرى من وصف جغرافي دقيق لفَيْد وما حولها يجد أن جبال طيّىء وأسد ومواقعهما تكاد تكون على بعد متساو منها أو متقارب[١]، ويبدو أن الطائيين استطاعوا قبيل الإسلام أن يهيمنوا عليها، وعلى ذلك أقرُّوا في الإسلام[٢].

وكان من شأن تعاظم قوة الطائيين واحتلالهم ذلك الموقع الجبلي الحصين المشرف على العراق والشام وقلب الجزيرة أن يلعبوا دوراً غير قليل الخطر في السياسة داخل الجزيرة وخارجها.

ويرجع تأثيرهم الخارجي على ما حولهم إلى عهد عهيد، وإن لم يكن لدينا بيانات عن الأحداث المشهورة ولا وثائق، فقد ذكر المؤرخون أن سابور ملك الفرس خندق على سواد العراق خندقاً كبيراً يقيه بها من غزوات القبائل العربية في الجزيرة[٣]، ولم تكن تلك القبائل إلّا بكر وائل وتميم وقيس وطيّىء؛ ولما لم يُجْدِ هذا الإجراء الواقي في حرمان العراق من المدِّ العربي، أنشأ الأكاسرة إمارة عربية في الحيرة عهدوا بها إلى بني لخم، وحذا حذوهم القياصرة فأنشؤوا إمارة غسان في البلقاء من بلاد الشام[٤]. وكانت السياسة الجديدة أعظم عائدة على ملوك الشرق والغرب إذ استطاعوا بالقفاز العربي الذي أدخلوا أيديهم فيه أن يتوزعوا النفوذ داخل الجزيرة، وأن يفتتوا بنية القبائل الكبيرة المتماسكة، وأن يضرموها على العرب في ديارهم، ما بين الإخوة أنفسهم، ناراً سنين طوالاً أجهضت القوة العربية عن كل توجه خارجي. ولم تكن حرب البسوس وداحس والغبراء وغيرها من الحروب

---

(١) انظر معجم ما استعجم: ٢/١٠٣٢ ـ ١٠٣٥.

(٢) أقطع رسول الله ﷺ زيد الخيل السنة التاسعة للهجرة فيداً وما حولها. انظر الإصابة، ترجمة ٢٩٤١.

(٣) انظر معجم ما استعجم: ١/١٣.

(٤) انظر الطبري: ١/٤٥١.

الطويلة المدى إلاَّ دسائس مخطَّطة غطَّت الأساطير الشعبية على أصولها ومناشئها الحقيقيَّة.

فأين كانت طيِّىء من هذا المحيط.

نستطيع أن نجزم مما بقي لنا من أخبار أيام العرب ووقائعها أن كلاًّ من المناذرة والغساسنة كان يخطب ود الطائيين[1]. وكانت طيِّىء في الحقِّ لما لها من موقع فريد، تستطيع أن تؤدي خدمات ممتازة لمن شاءت من الفريقين.

وكان على المناذرة أن يؤمنوا سلامة الطريق التجاري من فارس إلى عدن واليمن وأن يحموا لطيمة كسرى، وما كان يتأتى لهم ذلك إلاَّ باسترهاب القبائل العربيَّة واسترضائها مستخدمين العنف والمال معاً[2].

وكان على الغساسنة أن يضمنوا لأنفسهم، بموالاة بعض القبائل، نفوذاً موازياً تحقيقاً للتوازن السياسي والمعنوي، ومن ثم كان كل من بلاط الحيرة والشام يرحب برؤساء القبائل وأشرافهم وشعرائهم وخطبائهم يفدون عليهم من أطراف الجزيرة مستميحين ومعلنين الولاء. كما كانت سرايا الملوك من الفريقين تجوس أحياناً في ديارهم تؤدب العصاة[3].

وممَّا لا ريب فيه، أن توزع النفوذ والولاء أرهف حدة الانقسام والعداء ما بين القبائل، وكان ثمة تسابق ملحوظ على إحراز الحظوة لدى الملوك تأميناً لمصالح القبيلة، ولما صار سيد بني تميم حاجب بن زرارة لدى ملوك الحيرة المستشار الأول لشؤون القبائل الضاربة في منطقة الخليج لم تأل طيِّىء جهداً أن تبرز سيداً من ساداتها يتجاوز بالثقة وحسن المعونة والخدمة ملوك الحيرة إلى الأكاسرة أنفسهم. فكان إياس بن قبيصة الطائي ملكاً بالوكالة على الحيرة

---

(١) انظر في النقائض: (١٠٨١/٢)، شعر عارف الطائي يتهدد ملك الحيرة بنقل ولائه إلى غسان في الشام. وشرح التبريزي للحماسة: (١١/٤).

(٢) انظر أخبار ذلك في الأغاني: ٢٣/١٠ (ساسي)، وتاريخ الطبري: ٥٨٣/١، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦.

(٣) المصدر السابق (الأغاني).

بعد مقتل عمرو بن هند، وكان قائد الفيالق العربيّة في جيش كسرى يوم ذي قار[1].

وإذا كان تَبَيَّنَ لرجالِ القبائل، ومنهم زيد الخيل نفسه، بعد ذي قار، ـ في وقت متأخر مع الأسف ـ أن لا خير لهم في هذه الصلات ببلاطات الشرق والغرب[2]، وأن الغدر والحسرة والخسران آخر حصالاتهم منها[3]. فإن الانقسامات القبلية التاريخية والعداء السجال والغزو المتبادل كان قد ذهبت جذوره في أعماق تجمعاتهم، ومن ثم كانت طيّـىء، كغيرها من القبائل، تعيش حياتها في هذا المناخ من الخوف والعدوان.

وإذا انطلقت طيّـىء من جبالها الحصينة ببطونها المتكاثرة تنتشر وتوسع لنفسها في الديار، فإن هذا الانطلاق من المركز باتجاه الأطراف حفظ لها وحدة الأرض وشدة الأواصر، وفرض عليها أن تكافح في محيط تكتنفه قبائل مضر وربيعة من كل جانب، فكان تاريخها زاخراً بالآيام والوقائع.

ويستفاد من الأخبار أنَّه أتى على طيّـىء حين من الدهر كانت طيّـىء أمنع على ملوك الحيرة والشام أن يمسوا عزتها بهوان. ولم يجد الملك الشريد امرؤ القيس أمناً إلَّا في ذرا جبالها حين لفظته الأرض وتحامته القبائل خوفاً من ملك الحيرة، فنزل على سيد من ساداتها آمن السرب. وأعلن على الملأ أنَّ المعلى سيد حرٌّ، منيع الجناب لا يقتدر عليه أحد من المناذرة والغساسنة[4]. وظلّت طيّـىء متماسكة فيما بينها مجتمعة على جذم الأبوة الأولى ردحاً طويلاً

---

(١) انظر الطبري: ٤٧٨/١، والنويري: ٤٣٢/١٥.

(٢) قتل كسرى النعمان بن المنذر في سجن ساباط، الطبري: ٤٧٨/١، ثم قتل إياس بن قبيصة الطائي بعد ذي قار متهماً إياه بالتواطؤ مع العرب وأخواله من وائل. انظر أيام العرب في الجاهلية: ص ٣٣.

(٣) كتب كسرى لطيّـىء عهد أمان بعد أن قتل إياس بن قبيصة فحذرهم زيد الخيل غدره. انظر الشعر ص ٨٠.

(٤) قال امرؤ القيس:

كأني إذ نزلت على المعلى ... نزلت على البواذخ من شمام
فما ملك العراق على المعلى ... بمقتدر ولا ملك الشآم

ديوان امرىء القيس: ١٦٨، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف ١٩٥٨.

حتى دبّ إليها في أواخر العصر الجاهلي ما دبّ إلى غيرها من القبائل العربية ذات المحتد الواحد من العداوة والبغضاء. ومردّ ذلك إلى التنافس على زعامة طيّـىء، ومن اليسير أن نستشف هذا التنافس على السيادة والشرف من قصص صادقة أو موضوعة، تذكر رجالات طيّـىء وهم يفدون معاً على الحيرة أو الشام ليلبس الملك أحدهم حلّة الشرف أو ليخطبوا أختاً له[1]. وأغلب الظنّ أنّ هذه المنافسات باتت من أصول المصالح الحيوية لبطون طيّـىء، يدلُّ على ذلك أن طيئاً التي أجارت امرأ القيس قبل أكثر من قرن على الملوك أبت أن تُدخل النعمان بن المنذر جبليها وقد فر بأهله وسلاحه من كسرى، على ماله فيهم من الصهر، ولم يتنكروا له إلاّ مراعاة لإياس بن قبيصة الطائي ومقامه في الحيرة، ومكانته عند كسرى.

واستقراء الوقائع والأخبار يفيد أنَّ طيئاً انتهت إلى تجمعين كبيرين، تجمع في السهل حول قبيلة بجيلة وزعماؤهم بنو لأم بن حارثة، وتجمع في الجبال حول الغوث، وفيهم زعماء مرموقون، رهط عدي وبنو نبهان وغيرهم، وما زال التنافس والنزاع يغري بين الفريقين حتى نشبت بينهما غزوات موضعية لم تلبث أن امتدت إلى حرب جامعة طاحنة عرفت باسم حرب الفساد[2]، أنهكت طيئاً وبددت قواها وفقدت شطراً تاماً من أهلها، إذ هزمت بجيلة فاختارت أن تبرح ديار طيّـىء، ودخلت في قبيلة كلب وحالفتها[3]، وبذلك ذاقت طيّـىء من الكأس التي شربت منها عبس وذبيان، على مقربة منها، وآل أمرها إلى الضعف. وعيون الفرس والروم قريرة بما رسموا ونفذوا من سياسة التمزيق والإجهاض لتلك المنطقة السكانية الحيوية من جزيرة العرب.

وإنَّه لتاريخ زاخر لطيّـىء أنجبت فيه رجالاً وسادة متميزين. كان زيد الخيل، فارس بني نبهان، فيهم نجماً وضّاءً.

---

(١) انظر خزانة الأدب: ٢/٢٦١ ـ ٢٦٤، وتهذيب ابن عساكر: ٣/١٥٧، وأمالي الزجاجي: ٦٨.
(٢) انظر الأغاني: ١١/١٢٧، دار الكتب. والميداني: ٢/٣٥٨، والحيوان للجاحظ: ١/٣٩٣.
(٣) انظر الكامل في التاريخ، يوم اليماميم: ١/٦٣٦.

زيد الخيل الطائي:
سيرتـه وشخصـه

إسلامــه ووفاتــه:

إن يكن ثمة إجماع بين المحدّثين والرواة والأدباء على أن زيد الخيل فارس وشاعر طائي صليبـة[1]، ولم يشذ عن ذاك إلاَّ ابن أبي الحديد إذ سرد له نسباً عدنانياً خالصاً لا تعرف أصوله المستقاة ولا موارده[2] - فإن استقصاء ترجمة دقيقة له - شأن أكثر الشعراء الأولين - غاية لا مطمع فيها. وأوثق مراحل حياته ثبوتاً - وهي مَقْدمه على رسـول الله ﷺ، ووفاتـه - يعتريهـا اختلاف واضطراب ملحوظ. ومردّ ذلك إلى التدوين المتأخر ردحاً غير قصير. ولعل أول خبر تاريخي عنه، مدون، قد عُني به الإمام محمد بن إسحاق في السيرة. وفي فحص هذا الخبر نفسه نجد سلسلة الرواية مقطوعة إذ يقول: كما حدثني من لا أتهم من طيء[3]، وفي النظر في مترادفـات الأخبار ونظائرها، في غير مرجع، نجدها قد وردت من مكان بعيد عن موطن زيد الخيل ومسارح نشاطه؛ يقول ابن حجر وقد ذكر مرضه الذي مات فيه: «وذكر هشام بن الكلبي هذه القصة بلفظ: «ما سمعت بفارس»، وساقه بإسنـاد

(١) هو: «زيد الخيل بن مهلهل بن زيد بن منهب بن [عبد] رُضىً بن المختلس بن ثوب بن كنانة بن غوث بن نابل بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيّـىء». جمهرة أنساب العرب: ٤٠٣.

(٢) قال: «. . . هو زيد بن حصين بن فدار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب بـن بجالة بن ذهل ابن مالك بن بكر بن سعد بن ضبّة بن أد بن طابخة بن إلياس بـن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهو المعروف بزيد الخيل. وكان فارسهم». شرح نهج البلاغة: ٧١٩/١، دار الحياة، بيروت ١٩٦٣. ولا يعرف بزيد الخيل إلا الطائي، ولعل الشارح خلطها بينه وبين فارس آخر.

(٣) سيرة ابن هشام: ٢٤٥/٤ (ت. محمد محيي الدين عبد الحميد).

مجهول»، وقال ابن دريد في الأخبار المنثورة: كتب إليّ علي بن حرب الطائي سنة اثنتين وستين، وأجاز لي وأنا بعُمان، قال: حدثنا أبو المنذر. . . . فذكر نحوه مطولاً(١).

ومن ثم نرى أن أوثق حادثة في حياة زيد الخيل تأتينا من أفق بعيد، ومن زمان متأخر، وعلى أنَّها حادثة تاريخية مسرحها المدينة، والعلم بها يعم ملأ من الصحابة، فإن مصادرها الوحيدة هم الطائيون أنفسهم.

وإذا اعترى سند الخبر الضعف لا يستطيع المُترجِم أن ينتهي إلى تقرير حقائق لا تقبل الجدال. وإذا كان قوم الشاعر هم مصدر كلِّ خبر وشعر ـ وإن كان هذا طريقاً شرعياً إذ هم أكثر عناية به ـ لا يستطيع أن ينفي دعوى التزيد والإضافة بباعث العصبية القبلية، وإذا أعفىٰ المؤرخون الأوائل أنفسهم من التمحيص والنقد كانت طريق الباحث اليوم محفوفة بالمشاقّ، وبضاعته أحكاماً ظنية.

على أنَّ استقاء أخبار زيد الخيل من موارد بعيدة عن الجزيرة العربية له ما يبرره، فإن أوّل من يُسأل عن أخباره هم أولاده ورهطه، وكانوا دخلوا في الإسلام مدخل صدق، وشاركوا في الفتوحات الإسلامية الأولى، بعد أن أبلوا بلاءً حسناً في قمع المرتدين في جيش خالد بن الوليد رضي الله عنه، فكانت لهم مواقف مشهودة بالقادسية، وتابعوا الفتوح إلى أقاصي الشرق والشمال وهم في مراكز القيادة(٢). ولا شك أن كثيراً من بطون طيء وأحيائها كانوا معهم، ولم يؤثر عن أبنائه أنهم عادوا إلى الجزيرة، ولا غرو أن يُحدّثوا هناك السائلين عن أبيهم، وكان ذائع الصيت بين العرب في الجاهلية، وأن يُنوّهوا بإسلامه، وأن يرووا أشعاره وأخباره، ليصلوا طريف أمجادهم بتليدها.

ومن القصد إن أردنا أن نستبين الخطوط البارزة في حياة زيد الخيل أن نبدأ بتحقيق المرحلة الثانية من حياته، يوم دخل في الإسلام، وإن كانت، زمنياً قصيرة لا تزيد على شهر أو بعض أشهر، ولكنها من الأهمية بمكان إذ

(١) الإصابة: ٢٩٤١.

(٢) انظر جمهرة الأنساب: ٤٠٣ ـ ٤٠٤، والخزانة: ٤٤٨/٢، وتهذيب ابن عساكر: ٣٥/٦.

تجلو لنا، من خلال أوثق المصادر وأقربها، جوانب من شخصيته الفذة ومكانته وشجاعته، من شأنها أن توثّق لنا ما حكت أخبار الحقبة الجاهلية الكبيرة من حياته.

وتؤرخ إسلامه مجموعة حسنة من كتب السيرة والتراجم والتاريخ والأدب، وتكاد تستقي كلُّها مما أورده محمد بن إسحاق في السيرة من خبره، وينفرد بعضها بزيادات واختلافات مرويَّة على عهدة السماع أو النقل من غير تحقيق[1].

ويذكر أكثرها أنَّ زيد الخيل قدم على رسول الله ﷺ، السنة التاسعة للهجرة[2]، وهي السنة التي طفقت بها القبائل الكبرى ترسل بوفودها إلى المدينة تبايع رسول الله ﷺ، على الإسلام بعد أن فتح الله له مكة في السنة الثامنة للهجرة. وتجعل بعض المصادر مقدمة هذا في السنة العاشرة[3]. وليس لدينا من وسيلة للترجيح إلَّا المقارنة والمقايسة ما بين الوقائع. وإذا كنا نميل إلى اعتماد السنة التاسعة تاريخاً أصحَّ لمقدمه فما ذاك لأنَّه أكثر ما ذُكر، ولكن لما يستنتج من توارد الوقائع الثابتة. فالمشهور أن رسول الله ﷺ، كتب لزيد الخيل كتاباً أقطعه فيداً وقرى حولها[4]، وهذا الكتاب يجعله عاملاً لرسول الله ﷺ، على تلك المنطقة من الأرض التي تقطنها أسد وطيء. ويذكر الطبري أن النبيَّ فرّق عماله على الصدقات في السنة العاشرة للهجرة، وكان فيهم عدي بن حاتم الطائي، بعثه عاملاً على صدقات طيء وأسد[5]. فلو كان زيد الخيل، رضي الله عنه، حيّاً في تلك السنة لكان هو عامل رسول الله ﷺ، بمضمون ما كتب له وولاه. وهذا دليل على أن وفاته كانت منصرفه من المدينة عند ماء «فردة»، كما ذكر ابن إسحاق وكثيرون. وأما

---

(١) شأن ما ورد في الإصابة والاستيعاب وتهذيب ابن عساكر.

(٢) سيرة ابن هشام: (٤٣٢/٤) مصر، دار الفكر، وتهذيب ابن عساكر: (٣٥/٦)، والخزانة نقلاً عن الاستيعاب: (٤٤٨/٢).

(٣) الطبري: (٣٩٩/٢ ط. دار الاستقامة)، الكامل في التاريخ: (٢٠٤/٢).

(٤) تهذيب ابن عساكر: ٣٤/٦.

(٥) الطبري: ٢٠٤/٢، ط. دار الكتب العلمية، لبنان.

ما يسوق ابن عساكر من خبرين يجعل أحدُهما وفودَه في السنة التاسعة، ويجعل الآخر وفاته في السنة العاشرة[1]، فإن التوفيق بين الخبرين أن يكون زيد الخيل قد وفد في نهاية التاسعة ومات في أوَّل السنة العاشرة، وما ذاك من الاحتمال ببعيد. ولكن ما رواه ابن عبد البر أنَّه مات في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2]، وما ذكر له ابن دريد في الأوراق المنثورة من شعر قاله في تأييد أبي بكر على المرتدين[3]، فإنًّه لا دليل عليه من غير وجه. ولذلك قيد ابن حجر هذين الخبرين بشكٍّ كبير، فقال: «وهذا، إن ثبت، يدلُّ على أنَّه تأخرت وفاته حتى مات النبي ﷺ»[4]. والقرائن التاريخية تذهب مع هذا الشك مذهباً بعيداً، فأين كان زيد الخيل، الفارس المشهور له بمواقف البأس، من حروب المسلمين، وهم يُنازلون المرتدين ويفتحون الشام والعراق، ويهدمون ملك كسرى في خلافة عمر رضي الله عنه، وأبناؤه يقودون الكتائب والسرايا في هذا كلِّه، أقعد وأرسل بأولاده إلى الجهاد وهو الذي استأذن النبي ﷺ، واستمده بفرسان، ليغير بهم على الروم[5]، فأعجب به رسول الله أيما إعجاب لما توسم فيه من الصدق. إن الخَلْفيّة البطولية لسيد نبهان وفارس طيء تأبى أن تضعه فيمن رضوا من المجد بالمنصب دون البلاء. وأما الشعر الذي عزي له في معاضدته للخليفة الأول، ومن قبلُ، ما قاله في قتل أحد التغلبيين الخارجين على رسول الله، فلعله لبعض بنيه الذين جاؤوا رسول الله بعد وفاة أبيهم مسلمين[6]، فعزي الشعر إلى زيد الخيل عند استرجاع أخباره على نأي من الزمن، وكان بعض ولده يقول الشعر[7]، ولعل هذا الاضطراب في سنة وفادته على النبي ووفاته جعل بعضهم يحرزه في

---

(١) تهذيب ابن عساكر: ٦/٣٤ ـ ٣٥.

(٢) الاستيعاب: ٢/٥٤٤.

(٣) تهذيب ابن عساكر (السابق).

(٤) الإصابة: ٢٩٤١.

(٥) انظر الخبر في الأغاني: ١٧/١٧٦ ـ ١٧٧، ط. دار الثقافة.

(٦) قال ابن قتيبة: «. . . وكان له ابنان يقال لهما مكنف وحريث، أسلما وصحبا النبي ﷺ، وشهدا قتال الردة مع خالد بن الوليد». الشعر والشعراء: ٢٠٥ ـ ٢٠٦، ط. دار الثقافة، بيروت.

(٧) انظر الأغاني: ١٧/١٨٤.

المؤلفة قلوبهم، قال العيني: «وكان من المؤلفة قلوبهم ثم أسلم وحسن إسلامه»[١]. وهو قول يفتقر إلى تدقيق وتحقيق، وليس في الأخبار ما يؤيد عبارة العيني، فإنَّ قوله: «... ثم أسلم وحسن إسلامه»، تُشعر أنَّه وفد إلى المدينة غير مرة فتألفه الرسول ﷺ، بالمال ثم تمكَّن في الإسلام. ولم يذكر أحد له غير زيارة واحدة لعاصمة النبي، وهي الزيارة التي توفي في أعقابها، ولعل الوهم دخل على العيني من حديث رواه البخاري ومسلم ـ وأورد المبرد مثله ـ، أن عليّاً بعث إلى النبي ﷺ من اليمن بذهبة في أديم مقروظ، لم تحصل من تربتها فقسمها بين أربعة: الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، وزيد الخيل، وعلقمة بن علاثة[٢]. والحديث صحيح، ولكن لا ينبغي أن يوقع في لبس، فهؤلاء الرجال وفود أقوامهم إلى المدينة المنورة، والعام التاسع ثم العاشر عام الوفود، فلعل مقدم زيد الخيل وافق مقدم هؤلاء الرؤساء على النبي ﷺ، ونصُّ الحديث لا يقتضي أنه قسمها بين الأربعة وهم حضور عنده، كما لا يقتضي أن اعتراض بعض الناس على إعطائهم دون أصحاب النبي كان ساعة القسمة[٣]. وعبارة ابن حجر أدق إذ قال في شرح الحديث: «زيد الخيل سمَّاه النبي زيد الخير فأسلم فحسن إسلامه، ومات في حياة النبي»[٤]. فالرجل ما إن أسلم حتى كان حسن الإسلام يدلُّ على ذلك ما كان بينه وبين رسول الله ﷺ من لقاءٍ إيجابيّ: فما إن استمع زيد إلى النبي، وهو يخطب أصحابه في المسجد، حتى أعلن إسلامه على رؤوس الأشهاد، وما إن رآه النبي حتى هشّ له وأقبل عليه، وتوسم فيه من الخير ما جعله يسميه زيد الخير[٥]. وأمَّا ما أهداه له الرسول من المال فهو من باب

---

(١) شواهد العيني على الخزانة: ٣٤٦/١، وانظر المحبر لابن حبيب ص ٢٣٢، حاشية ٤٧٤.

(٢) انظر الإصابة: ٢٩٤١، والكامل للمبرد: ٥٤٥ (ط. لايبزغ). ورقم الحديث في البخاري: (٤٣٥١) وهو في مسلم بشرح النووي: (١٦١/٧ ـ ١٧٢). وفي نص الحديث: «والرابع إما علقمة بن علاثة، وإما عامر بن الطفيل».

(٣) انظر الحديث في المصدرين السابقين.

(٤) فتح الباري: ٦٨/٨.

(٥) قال له النبي ﷺ: «يا زيد، ما خبرت من رجل شيئاً قط إلا رأيته دُون ما خبرت عنه غيرك». الروض الأنف: ٣٤٢/٢.

الإكرام وتبادل الهدايا مودةً، إذ أهدى زيد الخيل لرسول الله ﷺ سيفين: مخذماً ورسوباً[1]، وأجازه رسول الله بمال كان أرفع ما يجيز به رئيساً[2]. ولعل أجمع كلمة في إسلامه تُعدّ لُبابَ ما يستخرجه من خبره علامة محقّق هي كلمة ابن حزم: «له صحبة محمودة ونية في الإسلام، أثنى عليه رسول الله ﷺ ثناءً عالياً رضي الله عنه، وسمَّاه زيد الخير»[3]. وما يذكر له من لقاء وحديث مع الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسؤاله له عن نفسه ورجالات قومه، إما أن يكون في حياة النبي ﷺ، وبعضهم قيَّده بذلك[4]، وإمّا أن يكون من قبل التخليط في رواية الأخبار فإنَّ نص الخبر واللِّقاء نَسَقٌ من لقاء آخر ما بين زيد وملك الحيرة.

وهل أقام زيد، رضي الله عنه، في المدينة طويلاً؟ إن سياقة أخباره تتوافق على لبث قليل، وأنَّه ما إن أسلم وكتب له رسول الله ﷺ، كتاباً على فيد وقرى وأراضين حولها حتى انطلق راجعاً والنبي يشيعه بنظرة أسىً وبعبارة حزينة: «أيُّ فتى إن نجا من أمِّ كلبة»[5]!.

ولا ريب أن زيداً لم يفدْ على المدينة مقيماً إذ لا هجرة بعد الفتح، ولا ريب أيضاً أنّه لم يكن كلُّ همّه أن يحصل على كتاب التولية من رسول الله ليغادرها تواً كما توهم صياغة الخبر، ولكن الرجل لما شرح الله صدره للإسلام أقام يتفقه في الدين رغبةً ويقيناً، ولنا أن نستنتج من بعض أخباره والعبارات العارضة فيها، أن طارئاً من الطوارىء قطع على زيد الخير إقامته، وهو المرض. فالرجل ابن الجبال والبوادي النقية، وكانت المدينة وبئة، فغزت من الحمى جسداً متين البناء، ولكن لا مناعة له على الحميّات، فلما أحس

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) قال ابن عساكر: «... وأعطى زيد الخيل اثني عشر أقية ـ فضة ـ ونشاً وكانت هي أرفع ما يجيز بها». (تهذيب ابن عساكر: ٦/٣٤).

(٣) جمهرة أنساب العرب: ٤٠٣.

(٤) الأغاني: ١٧/١٧٦ ـ ١٧٨.

(٥) هي حمى المدينة، بذلك سماها رسول الله ﷺ، وقيل سماها أم ملدم. (الطبري: ٢/٣٩٩ ط. الاستقامة ١٩٣٩). وانظر الحيوان: (١/٣١٧)، والأغاني: (١٧/١٧٦ ـ ١٧٧)، والاشتقاق: ٥٢.

بالمرض استأذن النبي ﷺ، في العودة إلى أهله، فكتب له وأذن. ويفيد شعره أنَّه أقام في المدينة نصف الشهر:

أنيخت بآجام المدينة أربعاً ... وعشراً يغني فوقها الليل طائر
فَلمَّا قضى أصحابها كلَّ بغية ... وخطّ كتاباً في الصحيفة ساطر
شددْتُ عليها رحلها وشليلها ... من الدرس والشعراء والبطن ضامر[1]

فهي أربعة عشر يوماً أو تسعة برواية الأصبهاني:

أنيخت بآكام المدينة أربعاً ... وخمساً يغني فوقها الليل طائر

قال أبو الفرج: «فمكث سبعاً ثم اشتدت به الحمى فخرج..»[2]، وهذه العبارة تشعر بأنَّه احتضن المرض سبعة أيَّام قبل خروجه عن المدينة، وعانى من وطأته الأولى، وهو تعليل واقعي لإقامته القصيرة ولتحزن النبي ﷺ، لما نزل بصاحبه وضَيْفه، ولتخوفه عليه الموت، فقال جملته المأثورة في وداعه: «أي فتى إن نجا من أم كلبة»[3]، لما رأى من آثار المرض في وجهه، ولما علم من ضعف حصانة البداة على وباء المدينة. وصدقت فراسة رسول الله ﷺ، فما لبث أن توفي ولما يبلغ منزله[4].

وإذا عرفنا سنة وفاته ومكانها فنحن لا ندري: ما السِّنُّ التي مات عنها. وتذكر أخبار، لا سبيل إلى القطع بصحتها، أنَّه كان أكبر من حاتم طيء وأصغر من أوس بن حارثة بن لأم الطائي[5]، ونحن نعلم أنه كان معاصراً لزهير بن أبي سلمى وابنه كعب وللحطيئة، ولعامر بن الطفيل، وعلقمة بن علاثة، ولأعشى قيس، ولكن هذه المعاصرة لا تقدم لنا من القرائن ما يسمح بتقدير عُمُره ولو تقريباً، ومن هؤلاء من مات في الجاهلية، ومنهم من مات أول الإسلام، ومنهم من تأخرت به الوفاة إلى عهد الخلفاء الراشدين. وكان

---

(١) انظر الشعر ص ١٠٦.

(٢) الأغاني: ١٧/١٧٥ ـ ١٧٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) جمهرة أنساب العرب: ٤٠٣.

(٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر: ٣/١٥٧، ط. روضة الشام: ١٣٣١ هـ.

ثمة مهاجاة بين زيد الخيل وكعب بن زهير في حياة أبيه زهير بن أبي سلمى، وكان زهير شيخاً حكيماً بصيراً يتخوف على ولده كعب من ملاحاة زيد الخيل، وزهير لم يدرك الإسلام، فلعل زيداً هاجى كعباً في ميعة الشباب، ولمَّا خاض زيد حرب الفساد، وضبَّ فيها ووضع، كان ولـداه في أول الفتاء[1]، ولما قتل كسرى إياسَ بنَ قبيصة الطائي، إثر موقعة ذي قار، كان زيد الخيل ممن أنضجتهم التجارب وخرّستهم الأحداث[2]، وإن كان أنفق عمره كلَّه في الجاهلية فما الظنّ أنه دخل الإسلام وقد عتا في السن أو مسّه الهرم، ولقد رآه رسول الله ﷺ رجلاً اجتمعت له صفات الإدارة فقلَّده إيَّاها، وأبدى زيد عزيمة لجهاد الروم، ورأى فيه النبي من القوة والنشاط والهمة ما يقول فيه: «أي فتى إن نجا من أمٍّ كلبة. . .»، فكان في عينه في غلواء الفتيان واندفاعهم. وإذا كانت هذه السمات قد تعزى لمن أوتي بسطة في الجسم ومراساً فإنَّها تشهد أيضاً أن صاحبها لم يوغل في الشيخوخة؛ أفلا يُستظهر أنه كان في العقد الخامس أو السادس إذ أسلم ـ والله أعلم ـ؟.

وقد يطلع علينا اعتراض بأننا نحقق لزيد الخير في حياة لا تزيد عن شهر، وليس له فيها من الشعر غير أبيات سبعة[3]، وأن الشطر الأكبر من حياته كان في الجاهلية فهو الأولى بالعناية. إنَّنا، في الحقِّ، نضفي على تفاصيل البحث وأجزائه قيمة توثيقية لا تضاهى في اعتمادنا على حقائق يقدمها لنا أعدل الشهود طُرّاً. وكيف نقبل ما وصف به زيد الخيل من خصائص متميزة جسماً ونفساً وسيرة في الجاهلية ولم نحرز دليلاً يدخل تلك المرويات في خير الاحتمال والقبول؟ ولكن عندما يشهد الصادق المصدوق بأنَّ الواقع الشخصي والأخلاقي لزيد الخير يفوق ما تتناقله الأفواه من ذكره وصيته، عندها نريح أنفسنا من عناء الشكِّ فيما روي له من مواقف وأخبار لاعتقادنا بأن الرجل فوق ما ذكر. قال عليه الصلاة والسلام: «ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم

---

(١) انظر الكامل في التاريخ: ١/٦٣٦.

(٢) انظر موقفه من سياسة كسرى في طيء، الشعر ص ١٤٢.

(٣) منها الأبيات الثلاثة التي استشهدنا بها من قبل على مدة إقامته في المدينة (ص ٣١)، وأربعة أخر قالها إذ أحسّ انتهاء الأجل. (انظر الشعر ص ١٣٠).

جاءني إلَّا رأيته دون ما يقال فيه إلَّا زيد الخيل؛ فإنَّه لم يبلغ كلَّ ما فيه»[(١)].

وفي هذا الخبر فوائد هي بمثابة مرتكزات يقينية للباحث إذ يقرر بدءاً أنَّ زيد ابن مهلهل الطائي كان من رجالات العرب المذكورين في القبائل والأحياء والأقاليم، وأنَّ اشتهاره فيهم عميق ضارب الجذور في أحداث الجاهلية، وأنَّه من ذوي الفضل تتجسد فيه القيم الفضلى، من العزة والشجاعة والغيرة والإقدام والكرم، تلك التي يمجدها العرب، وأن سيماءه، بما حباه الله من قامة مديدة، وهيبة ورجولة، وعِتْق في الوجه، تشهد له بفطرة واستعداد متفتح على الخير لم يتفرسه فيه أحد قبل رسول الله ﷺ، وأنَّ الرجل لما تكتَنِفْه البيئة والظروف التي يمكن أن تفجر إمكاناته على وجهها الحقّ، وأنَّه - إذا تذكرنا قوله ﷺ: «أي فتى إن ينج من أم كلبة»[(٢)] - قد يطلع في الإسلام مطلعاً جديداً خلّاقاً إن فسح له في الأجل.

مقومات شخصيته في الجاهلية:

فلنطمئن، إذن، بأننا نؤرخ لشخصية فذة: فما سماتها؟ إنها جديرة أن تضعه مع من بلغوا في معيار عصرهم شأو الكمال، فقد حباه الله ببسطة في الجسم، وبوسامة الرجولة، وبرجاحة العقل، وببيان مطواع، وشجاعة نافذة، وعزيمة محققة.

وعندما يعدد الأدباء أسماء الذين فرعوا الناس قامة، ممن كانوا إذا ركبوا الفرس خط منهم الإبهامان في الأرض أو يقبلون المرأة، إن فعلوا، وهي في هودجها تسير، فإنَّ زيد الخيل كان واحداً من ثمانية رجال لم ينس التاريخ تميزهم الجسمي والجمالي[(٣)]، حتى كان ممن يتعمم في المواسم «مخافة

---

(١) انظر سيرة ابن هشام: ٢٤٥/٤، والروض الأنف: ٣٤٢/٢، والكامل في التاريخ: ٢٠٤/٢، والاستيعاب: ٥٤٣/٢، والشعر والشعراء: ٢٠٥ (دار الثقافة)، وإمتاع الأسماع: ٥٠٨، والأغاني: ١٧٤/١٧ - ١٧٥ (دار الثقافة).

(٢) ورواه السهيلي بلفظ آخر: «فإن ينج زيد من حمى المدينة فلأمر ما هوا!». الروض الأنف: ٣٤٢/٢.

(٣) انظر الكامل للمبرد ص ٢٩٨، ط. لايبزغ، والمحبر لابن حبيب: ٢٣٢ - ٢٣٣، ط. دائرة المعارف العثمانية ١٩٤٢.

النساء على أنفسهم لجمالهم»[1].

وللجانب الجسمي نصيبٌ لا يُنْكر في قوة الشخصية وهو من دعائم الزعامة والرياسة، والقوة الجسدية عون الرجل الندب في تحقيق غاياته، ولا شكَّ أن قد أعانت زيد الخيل في أن يتبوأ مكانه في قبيلته وما بين العرب. ولكن لو سألنا شعره عن هذه الصورة وعن انعكاساتها الذاتية لما حدثنا بشيء، ولولا أن التاريخ شهد بها ما تبيّنا أمرها، فلم تدخل في حساب الشاعر الذي كان كثير الاعتداد بحسبه في قليل أو كثير. وما كان من شيم عصر، لا مكان فيه لغير البطل الحقّ، أن يتغنى رجل فيه، بجماله أو أن يتجمع حول ذاته في حال من الميوعة والتخنث، ولا أن يباهي بقيم لا يعتد بها إلاَّ النساء، وحتى نساء ذاك العصر كنّ ينشدن الرجولة في الرجال قبل الوسامة[2]. ولعل الصورة النموذجية المثلى التي كان يراها زيد الخيل في عين خياله لنفسه هي صورة المقاتل الذي أكلت الحرب لحمه وأحالت لونه، وصاغت منه فارساً خبيراً مقداماً صَنْعته القتال:

رأتني كأشلاء اللجام ولن ترى ... أخا الحرب إلا ساهم الوجه أغبرا
أخو الحرب إن عضَّتْ به الحرب عضّها ... وإنْ شمَّرت عن ساقها الحرب شمرا[3]

وكان لا يرضىٰ تقويماً لشخصه إلاَّ قيم العصر البطولية:

هلاَّ سألتِ بني نبهان ما حسبي ... عند الطعان إذا ما احمرّت الحدق[4]

ولا يعرف وسيلة ارتقى بها إلى قمة السؤدد في قومه إلاَّ البلاء المشهود:

أنا الفارس الحامي الحقيقة والذي ... له المكرمات واللُّها والمآثر
فلستُ إذا ما الموت حوذر ورده ... وأترع حوضاه وجمَّح ناظر

---

(١) ابن حبيب (المصدر السابق).

(٢) وقديماً قال الخنجر بن صخر الأسدي:

فإن لم تك المرآة أبدت وسامة ... فقد أبدت المرآة جبهة ضيغم

انظر: (أوضح المسالك لابن هشام: ١٩٢/٣).

(٣) من أبيات له، انظر الشعر ص ١٠٨.

(٤) من أبيات له، انظر الشعر ص ١٣٤.

بـوقّافـة يخشى الحتـوف تهيّبـاً يباعـدني عنهـا من القَبّ ضـامـر
ولكنّني أغشى الحتـوف بصعـدتي مجاهـرةً إنَّ الكـريم يجاهـر[1]

فتلك الهبة من بسطة الجسم والوسامة والقسامة كانت تبعاً لغلوائه وبعيد همته، مسخرة لما في طبيعته من الشهامة والعزَّة، خادمة لمطامحه وتطلعاته في ميادين الشرف والذكر النبيل.

ومن وراء ذلك كلِّه فطانة وذكاء يحكم مواقفه وتحركاته، يتفحص به ما بين يديه، ويستشرف به إلى ما وراءه من العواقب أو حسن النتائج، يؤثر عنه قوله[2]:

أكـرُّ إذا كـانَ القتـالُ حَـزامـةً وأنجـو إذا لم ينـج إلاَّ المكيِّس

فكان لا يغامر إلاَّ على بصيرة من أمره. وكانت هذه الكياسة تحكم صلاته بمعاصريه إذ يبدو لنا على نصيب من الحكمة وبعد النظر جعل عقله سيد لسانه، فلا يستخفه الغضب إلى مدى الطيش، يجاهل بقدر ما جهل عليه، ويحفظ لذوي الفضل ما حفظوا له، ولما استفزه كعب بن زهير للهجاء وقف بين ولد سليط اللسان ووالدٍ ناهٍ حكيم، فدفع ورعى معاً، وقال[3]:

فـلولا زهيـرٌ أن أكـدّر نـعـمـة لقـاذعتُ كعباً مـا بقيت ومـا بقـا

ويشايع هذه المزايا المتفوقة القدرة على القـول البليغ. ومـا أحوج الزعماء عموماً إلى الكلمة الفصل في المواقف! فهي صورة العقل، وثمرة الرأي ومشعّ العواطف والمشاعر، ما أعظمها أثراً في أمَّة متبدية، وفي عصر كالعصر الجاهلي الكلمة فيه كالسيف إن لم تكن أقطع حداً، ومن يملك صياغة الكلمة المعبرة المركزة في المواقف والملمات ملك ناصية الرأي فيها، فإن اجتمع له معها شدة الساعد وجراءة الجنان كانت له السيادة على القبيلة غير مدافع. ويشهد كثير ممن ترجم لزيد الخيل أنَّه كان «شاعراً محسناً خطيباً

---

(١) من أبيات له، انظر الشعر ص ١١٤.
(٢) انظر شرح التبريزي لحماسة أبي تمام: (١/٩٤)، والشعر ص ١٣٢.
(٣) انظر خزانة الأدب: (٤/١٤٨)، والشعر ص ٦٧.

لسناً شجاعاً بهمةً كريماً»[1]. ويزكي هذه الشهادة بعض معاصريه من كبار الشعراء، فقد نصح زهير بن أبي سلمى ولده كعباً ألَّا يستثير عليه زيد الخيل قائلاً هجوت رجلاً غير مفحم[2]. وحسب زيد أن يشهد زهير له على اقتداره على التصرف في فنون الشعر وفق الدواعي، وما بقي لنا من شعره مصداق تلك الشهادة وبرهان تلك القدرة. فهو لا ينظم شعراً إلَّا بباعث حيويٍّ من شؤون نفسه أو قبيلته، فيتأتى له حاراً مفعماً من معين الحميَّة والفخار، قد أصاب الغرض في الصورة الجلية واللَّفظ الحيِّ، والتراكيب المنسابة رَهْواً في تآلف؛ وفي كلٍّ مما نظم دليل[3].

وعلى ما قد يكون في شعر زيد الخيل من مبالغات كانت تتطلبها طبيعة العصر، فإنَّه كان لا يفاخر ويدعي ويتحدى في أرض خلاء، وما من واقعة أو مأثرة تحدث بها شعره إلَّا كانت ذات منشأ واقعي، وإذا لم نعر بعض الأخبار والقصص، التي تسرد مغامراته، كبير اهتمام توجساً من احتمال الوضع واحترازاً من التضخيم، فإنَّ في تضاعيف أشعاره ما يشهد بنفس شديدة المراس تعيش بطولاتها معاناة، وتكتسبها جدارة وتحقيقاً.

وليس من غرض بحث وجيزٍ أن يذهب مذهب التفصيل، وحسبنا أن نُنوّه بمكان هذه الشخصية المدلَّة بنفسها عن ثقة واستحقاق، فقد كان زيد الخيل يعلم موضعه من قومه، وأنَّه فارسهم المصمم، قال لأحد معاصريه[4]:

تخبّـر من لاقيتَ أن قـد هزمتهم ... ولم تَـدْرِ ما سيمـاهم، لا وعائمِ
بل الفارس الطّائي فضّ جموعهم ... ومكّـةَ والبيتِ الّـذي عنـد هـاشم

وفي اعتداده بهذا اللقب «الفارس الطائي» عبـوةُ إحساس بفعـاليته الذاتية، وإنجازاته المتميزة، يقول[5]:

(١) الاستيعاب: ٥٤٤/٢، وانظر الإصابة ترجمة: ٢٩٤١.
(٢) أمالي القالي: ٢٤/٣.
(٣) كل ما نورده في هذه الدراسة من شواهد يصلح دليلاً.
(٤) هو قيس بن عاصم زعيم تميم، انظر الشعر ص ١٥٣.
(٥) انظر الشعر ص ٩٧.

لقد علمت نبهان أنّي حميتُها وأنّي منعتُ السَّبْيَ أن يتبدّدا

ويفصح عن هذا الإحساس تمركز حول الذات ينطق به ضمير المتكلم المفرد في غير قصيدة، كما في البيت السابق، وفي قوله[1]:

وقد علمت بنو عبس وبدر ومُرَّةُ أنّني مرٌّ عِقابي

كما ينطق به التصريح الفخور بلقبه «الفارس الطائي» وباسمه، كقوله في مبارزة له[2]:

تمنى مَزْيَد زيداً فلاقىٰ أخا ثقة إذا اختلف العوالي

وما ذاك الاعتداد بالذات إلّا صورة التوافق بين ما كان له من فعل وقول حتى عدّه ذوو الدراية في ثلة الفرسان الأعلام، وغدا في ضمائر الأجيال من الطائيين بطل الفرسان، فذاً أشبه بأبطال الأساطير، مكلَّلاً بالشرف السني والفخار الخالد[3].

أخلاقه:

تلك المقومات الأربع لهذه الشخصية جعلت منه رجلاً مؤهلاً لمعالي الأمور في عصره، فهو، في الجانب الأخلاقي المثالي، يسمو ويمتاز امتيازه بجسمه وعقله وشجاعته. وكان الرجل الأمثل في زمانه من يعيش لقضايا قومه في صراع الحياة الدائر، له بلاء في الأعداء، وفعل في ابتناء الأمجاد، وبسيفه وساعده وثباته يحوز له ولهم الشرف، وبرهان بطولته بلوغ مآربه.

---

(١) انظر الشعر ص ٧٤.

(٢) انظر الشعر ص ١٣٧.

(٣) قال ابن عبد ربه: «ومن فرسان الجاهلية: عنترة الفوارس، وعتيبة بن الحارث، وأبو براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة، وزيد الخيل، وبسطام بن قيس، والأخيمر السعدي، وعامر بن الطفيل، وعمرو بن عبد ودّ، وعمرو بن معد يكرب». العقد الفريد: ١/١١٧.

وقال الطرماح الشاعر الخارجي الأموي مفتخراً بمآثر القحطانيين:

«كم من كريم عظيم الشأن من مضر ومن ربيعة نائي الدار والنسب

قد راح زيد إلى الهطال جانبه مواشكاً للمطايا طيّع الخبب»

يعني: زيد الخيل، والهطال: فرسه؛ يقول: كم من كريم قد أخذه زيد فقرنه بحبل ثم ذهب به إلى الهطال بجنبه. المعاني الكبير: ١٠٢٢.

وتلك قيمة خلقية علية في عصور البطولات والفروسية، سما لها زيد الخيل في المعركة بعد المعركة حتى غدت أولى سماته، فكان شجاعاً مقداماً مظفراً من الطراز الأول، وإن مصداقية وصف من وصفه بأنّه كان فارساً «بعيد الصوت في الجاهلية»[1]، ليست في وصف غاراته ومواقفه وحدها ولكنها أيضاً في إعلانه عن الرصيد الحقيقي للشرف والبطولة ألا وهو الممارسة والخبرة واكتساب المهارات المعينة على التنفيذ والأداء الفعّال، قال:

ليس أخو الحرب العوان بمن نأى بجانبه ولا السؤوم المُواكلُ
ولكنْ أخوها كلُّ أشعث دارعٍ يعالي السلاحَ فوق نَهرٍ مناقلِ
وأسمرَ مرفوعٍ يرى ما أريته بصير إذا صوبته بالمقاتلِ[2]

ولا يرتقى هذا المرتقى المنيف من الكفاءات القتالية إلاَّ الذين يستحوذ عليهم جلال الواجب القبلي باعتباره دافعاً لهم وباعثاً على التفوق وكان هو العمدة في تكوين زيد الخيل النفسي. فالواجب القبلي كيانه الحقُّ، منطلقاته منه ومنه معطياته، وفي حومته يتقلب ما بين الغضب والرضا، والعنف والعفو. ومن ثَمَّ كان، كسائر العرب، يلهبه داعي الثأر إلهاباً، ولا يقرُّ له قرار حتى يلبِّيَ نداءه:

ذاك إن ألقه أنال به الوتـ ـر وقَرَّت به عيونُ الصحاب
أو يفتني فقد سبقت بوتر مذحجي وجدّ قومي كابي[3]

وكان مفرط الحساسية أن يمسّ كرامة القبيلة، في معترك الصراع خدش، ولو جانبياً، وكان الواجب يقضي بأن تغسل الإهانة بردٍّ سريع أيّما ردٍّ:

إذا عركت عجل بنا ذنب غيرنا عركنا بتيم اللات ذنب بني عجل[4]

ومن الواجب العام، وهو العماد في كيان الشاعر الخلقي في الجاهلية،

---

(١) انظر الأغاني: ١٧/١٧٢.
(٢) انظر الشعر ص ١٤٥.
(٣) انظر الشعر ص ٨٧.
(٤) انظر الشعر ص ١٧٨.

تتفرع القيم العليا المطلوبة في القادة والسادة، فالكرم من توابع البطولة:

وإني ليغشىٰ أبعد الحي جَفْنَتي　　إذا ورق الطلح الطّوال تَحسّرا[1]

وهو كرم مشتق من خُلقيّة تعُمُّ القبيلة:

نصول بكلِّ أبيضَ مشرفيّ　　على اللاّتي بقىٰ فيهن ماءُ
عشيّة نؤثر الغُرباءَ فينا　　فلا هم هالكون ولا رُواء[2]

ومن الكرم مؤازرة الجيران ومساندتهم في الشدائد:

والجار يعلم أنِّي لست خاذلُه　　إنْ نابَ دهرٌ لعظم الجار يعترق[3]

وهذا الالتصاق بالمبادىء الأخلاقية الكريمة له امتداده الإيجابي في نفس حرة، كزيد الخيل، قد فطر صاحبها على النبل والسمو، إلى الخير العام، فليس غريباً أن تعبر مضيق القبيلة إلى شاطىء إنساني، وكفى بزيد الخيل نبلاً أن يرى لمؤاكلٍ له على طعامٍ حرمةً واجبة كسائر الحرمات، ولو كان غريباً:

ولمَّا دعاني الخَيْبريّ أجبتُه　　بأبيضَ من ماءِ الحديدِ صقيل
وما كنتُ ما اشتدت على السيف قَبْضتي　　لأسْلمَ من حبّ الحياة أكيلي[4]

ولا أدلَّ على هذا المنزع الإنساني من أنه كان يحقن دماء الخصم في النزال إذا طلب منه البقيا، وفي غير مرَّة أطلق أعداءَه الأسرىٰ وعفّ عن سفك الدماء:

ولولا قوله: يا زيد قَدْني　　لقد قامت نويرة بالمآلي[5]

لقد كان يكفيه أن ينتزع منهم الاعتراف بالهزيمة والتسليم له بالغلبة،

---

(١) انظر الشعر ص ١٠٨.
(٢) انظر الشعر ص ١٦٤.
(٣) انظر الشعر ص ١٣٤.
(٤) انظر الشعر ص ١٦٤.
(٥) انظر الشعر ص ١٣٧. وانظر أيضاً أسره وإطلاقه عامر بن الطفيل. الشعر ص ٩٥.

فإذا حاز شرف النصر لم يغلبه غيظ أو غضب على العفو والصفح.

إن زيد الخيل بما وهب من مكونات جسمية ونفسية حاز من القيم أمثلها فكلّلته احتراماً ووقاراً لدى الأصدقاء والأعداء.

منزلـة المنيـع:

وكان منزل زيد الخيل في الجبال من بلاد طيء الفسيحة[1]، وبدلالة بعض النصوص نخلص إلى أن بني نبهان قوم الشاعر كانوا يقطنون من الجبال ما هو قريب من فيد[2]، وأنَّ ثمَّة جبلاً كان يحتله زيد الخيل ورهطه عرف باسم الشاعر، اتخذ أهله فيه الأبنية وأقاموا السدود ومجالس المياه للسيول والأمطار، مما يشير إلى الاستقرار في الأرض واستثمارها[3]. وكان المردود المعنوي لهذا المنزل المنيع، لدى زيد الخيل، شعور بالثقة والفخار، فكان عظيم الاعتزاز بمواقع قومه. حريصاً على أن تخلص لهم، وأن يتنقلوا فيها أحراراً، وأن ينطلقوا منها يوسعون لأنفسهم في أرض غيرهم من القبائل، وأن اللهجة الحارة في شعره لتؤكد هذه الحقيقة:

منعنـا بين رَشْقَ إلى المطالي ... بحيٍّ، ذي مكابرة عنودِ
نزلنا بين فيدٍ والخِلافى ... بحيٍّ، ذي مداراة، شديد
وحلَّت سنبس طلْحَ العَيارىٰ ... وقد رغبت بنصر بني لبيد[4]

كما يؤكد حقيقة تعد لها أهمية في قانون الصحراء والقبليّة هي: إنَّما الأرض المنيعة بحماتها الأعزاء: بما لهم من منعة وحفاظ فيما حازوا ونزلوا، وبما بينهم من مواثقة وتناصر. وهي حكم عمليَّة تنبتها البيئة وأنماط الحياة نباتاً حياً يتضح في ضمير الشاعر وتفكيره انعكاس تجربةٍ ومراس.

---

(١) قال ابن حزم في جمهرة الأنساب: «مات قبل أن يبلغ منزله بالجبلين» ص ٤٠٣.

(٢) هو جبل دخنان، انظر «معجم ما استعجم: ٢/١٠٣٢ - ١٠٣٥».

(٣) روى البكري هذا البيت لباهلي:

إذن لجعلت التين بيني وبينكم ... وهضبة زيد الخيل فيها المصانع

[معجم ما استعجم: ١/٣٣٢]. والتين: جبل، والمصانع: القصور، أو محابس الماء.

(٤) انظر الشعر ص ١٠١.

عصبيتـه القبليـة:

وكنّا بيّنا ارتباط الشاعر بالواجب القبليّ العامّ ارتباطاً نفسياً وثيقاً، والحقُّ أنَّ العصبيَّة الطائيَّة مزاج دمه وروحه. ولكنَّ العصبيَّة الكلّية للقبيلة لا تمنعه من تعصبات جانبية: جزئية أو فرعية؛ فهو من بني نبهان واعتصابه الأول بهم، يستمدُّ منهم، قبل غيرهم، الاعتراف أو الشهادة له بالقيمة الذاتيَّة:

هـلا سألت بني نبهـان ما حسبي ... عند الطعان إذا ما احمرت الحدق(١)

وبهم يعتد:

وسـائل بني نبهـان عنا، وعنـدهم ... بلاء كحد السيف إذ قطع اليدا(٢)

وهم رجاله في الملمَّات، وفخاره الأول:

واســأل غنياً يــومَ نعف محجّـرٍ ... واسـأل كـلابـاً عن بني نبهـان(٣)

وهو تدرج طبيعي في سلَّم العصبيَّة القبليَّة في حياة البُداة، يبدأ بالحيِّ ويصّاعد في الانتماء الفخور إلى الجدّ الأول للقبيلة. ولعلَّ الذين يتبوّؤون مراكز القيادة فيها هم أحمىٰ شعوراً بها، وتعويلاً عليها لما لها من رصيـد عملي في مواقفهم، ومن ثم نُحسُّها عارمة تضطرم بها جوانح زيد الخيل اضطراماً قد ازدُهي أيما ازدهاء لما لقومه من عدد وقوة وحميَّة وبلاء:

ويقذف حولي جمع أخزم بالحصى ... وجمـعِ سـلامـانَ الحمـاة وسنبس
ويقذف شماس بن عمـرو ورهطه ... ويا رُبَّ منهم دارعٍ وهو أشوس(٤)

ومن غير تحرّجٍ من مبالغة نستطيع أن ننوه بحسٍّ عصبي سام لدى زيد الخيل على مستوى طيِّ جمعاء، نتلمسه في سعيه لأن يستبعد أسباب الشقاق ما بين أحيائها وبطونها، حرصاً منه على وحدة القبيلة ومنعتها وقوتها، وتذكر

---

(١) انظر الشعر ص ١٣٤.
(٢) انظر الشعر ص ٩٢.
(٣) انظر الشعر ص ١٥٩.
(٤) انظر الشعر ص ١٣٢.

بعض الأخبار أنَّه فرَّ بنفسه ورهطه مرَّة إلى جوار خارجي حتى لا يدخل في خلافات وانقسامات عائدتها الشرُّ والضَّرر[١]. ولكنّ حرب الفساد التي أشعلها التنابذ ما بين طيء السهول وطيء الأجبال كانت أقوى مما له من نيّة نبيلة كريمة، ومن رغبة في الألفة والوئام والسلام، فخاض غمارها مكرهاً يتوزّعه الهمُّ والأسىٰ بين الأعمام والأخوال[٢]. لقد أقسمت طيء السهول أن تجتاح أختها طيء الأجبال، وأوقدت نيرانُ الحرب على ذرا أجأ تدعو القبائل للدفاع[٣]، وما كان لزيد الخيل، وهو أحد زعماء الجبال المرموقين، أن يتخلف، فأتى في ساعةٍ غابت الحكمة والرأي عن سادات طيء، واستعلىٰ فيها الهياج والشرّ، ولم يبق منطق لغير السيف. وزيد الخيل نبهاني من الجبال ثم طائي، فاسترسل من انتمائه الأذى، وشمّر وجدّ، ووحّد كلمة طيء الأجبال حتى تلوّم حاتماً الطائي لمَّا غلبته الحكمة على العصبية، واعتزل جانباً حرب الفساد، ونزح بقومه إلى مضارب فزارة الغطفانية[٤].

وجُرح زيدٌ في تلك الحرب[٥]، وانتصر قبيله؛ ولكن لا نحس فرحة النصر في الشعر الذي ذكر فيه حرب الفساد، وما نحسبه كان فرحاً بأن تقهر يمناه يسراه، ويوحي الشعر الذي خصّ فيه باللَّوم والهجاء زغيم طيّء الرمال، أوس بن حارثة بن لأم، يوحي بأنَّ زيداً كان يلقي تبعة تلك الحرب وعواقبها الوخيمة على عاتق أوس إذ كان قد طوّر النزاع الموضعي المحدود بين الصغار، وارتفع به إلى مستوى الزعامات الكبرى، فدفع طيئاً كلَّها إلى الاقتراب[٦].

ولم تزدْ حرب الفساد زيد الخيل إلاَّ علماً بأن العصبية الطائية الجامعة ضرورة حيويّة، وأنهم باتوا أحوج إليها لدفع الأخطار الخارجيَّة، ولا سيَّما خط

---

(١) انظر الأغاني: ١٩٣/١٧، ط. دار الثقافة.

(٢) انظر خبر يوم اليحاميم في «الكامل في التاريخ: ٦٣٥/١».

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر الشعر ص ٧١.

(٥) انظر الحيوان: ٣٨٥/٢.

(٦) انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٦٣٦/١، والشعر ص ٧٨.

فارس، وقد هانت طيء بعد انقسامها وضعفها في عين كسرى، ولذلك هجم، من غير تخوف، على قتل إياس بن قبيصة سفير طيء وصاحب كلمتها عنده، تشفِّياً لهزيمة جيوشه في ذي قار، ولمَّا أرسل كسرى إلى طيء، يخدعهم عن الانتقام، بعهد أمان، وسُرّ به بعضُهم، تهزّأ زيد الخيل بقصار النظر، هؤلاء الذين غاب عنهم أنَّ كسرى ألدَّ أعدائهم، وأن لا أمان له بعد الغدر بإياس، وأن الركون إلى عهده ذلٌ يندى له الجبين وتتهاوى له جبال طيء خجلاً، وأنَّ العار والخطر من شأن طيء جمعاء[1]:

فـإنَّ امـرأً منكم، معاشـر طيّـىءٍ   رجا فلجاً، بعد ابن حيَّة، جاهل

الاتجاه الفردي للشاعر:

والاندماج في الكيان القبلي لا ينبغي له أن يحجب عنَّا الاتجاه الفردي للشاعر، فقد كان رجل حياة حقاً في إطارٍ من طبيعة عصره ومفهومات العيش السائدة. نعم، كان ينشد المثـل العليا المطلوبة في القادة، ولكن في منحى الحياة العمليَّة التي تبلغه السؤدد. فإذا كان شجاعاً مغواراً فليست الشجاعة مطلباً مثالياً مفرّغاً من مردوده الماديّ، وإنَّما هو شجاع ليكون ذا ثراء وأموال، يغزو ويُغير ليغنم ويأسر؛ وهذا المضمون النفعي الخالص للغزو الجريء صريح في بعض أقواله التي يظهر فيها حرصه على مكاسبه باعتبارها حقوقاً تحصَّلها بالجهد والكفاح وتعريض النفس للتهلكة:

وذاك عـطاءُ الله في كـلِّ غـارة   مشمِّرةٍ يومـاً إذا قَلَّص الخصى[2]

ويشهد خطابه للحطيئة لمَّا أسره بالمطلب الماديِّ الأصيل لديه:

أقـول لعبـدي جـرولٍ إذ أسـرتـه   أثبني ولا يغـررك أنَّـك شـاعـر[3]

وهذه النظرة النفعية ليست من مثالب الرجل في عصر كان الغزو فيه شرعة من شرع الحياة، وكان المال من أركان السيادة والشرف لا محالة،

---

(١) انظر الشعر ص ١٤٢، وابن حية هو إياس بن قبيصة الطائي.
(٢) انظر الشعر ص ٦٨، وانظر صيغة للبيت قريبة من هذه في ص ١٧٣.
(٣) انظر الشعر ص ١١٤.

ويُسْتَنْتج مما سقط إلينا من شذرات أخباره أنَّه كان ممعناً في اتخاذ المال، يستغل الفرص المواتية، ويعد الوسائل النافعة لحيازته. ولقد فرض على أحياء من قومه أن يعطوه من الغنائم حقَّ الرئاسة والمرباع في الساعات الحرجة التي لو تخلى عنهم فيها لضاعوا، وكانت مشاركته في معونتهم مشروطة بما فرض[1]، وما الأفراس التي احتفظ التاريخ ببعض أسمائها، حتى لقب بزيد الخيل لكثرتها، إلاَّ دلالة على اصطناع وسائل الكسب الوفير، فلم تكن خيله أموالاً تقتنى للزينة والمباهاة ولكن كان يُغزي عليها الفرسان أولي البأس على أن يكون لفرسه حظ معلوم مما يغنمه ذلك الغازي[2]. فلا غرابة، أن يكون للفرس وجود صميمي في حياة فارس جم النشاط، بعيد الأمل، حيوي الخطة، فهو عدة وقوة ومجلبة للثراء، وليس من المبالغة دعوى الشاعر أنَّه يضع فرسه في الموضع الذي يضع فيه ولده:

أقـرِّبُ مـربط الـهـطَّال إنِّـي أرى حـربـاً تلقـح عن حيـال
أسـوِّيـه بـمكـنـف إذ شـتـونـا وأوثـره عـلى جـل الـعـيـالِ[3]

تلك جملة من خصائصه النفسية والعملية وهي من المؤيدات لما أثر عن الرواة من حديث غاراته ووقائعه الكثيرة.

صلاتــه بالقبائـل:

جلّ ما ساقه الأدباء ـ كصاحب الأغاني وأصحاب الأمالي ـ من حياة زيد الخيل هو حديث غاراته. وما قاله أبو الفرج فيه: «كان زيد الخيل فارساً مغواراً مظفراً بعيد الصوت في الجاهلية»[4]. هو استنتاج جامع لما أحاط به من أخباره، واستقرأ من أشعاره، ممَّا أورد وانتقى أو ترك.

والواقع التاريخي، القبلي والجغرافي، ينصر هذا التقريظ الموضوعي

(١) انظر الأغاني: ١٧/١٨٧ ـ ١٨٨، و١٩٢ ـ ١٩٤، ط. دار الثقافة.
(٢) انظر سمط اللآلي: ص ٦٠، وعقد الأجياد في الصافنات الجياد ص ٤٥، والأغاني: ١٧/١٧٢ ـ ١٧٣.
(٣) انظر الشعر ص ١٣٨، وانظر في هذا الغرض أيضاً ص ١٠٤ وص ١٥١.
(٤) انظر الأغاني: ١٧/١٧٢، ط. دار الثقافة.

للشاعر، فقد كانت طيء في موقع من الأرض يفرض عليها مساساً حتمياً بغيرها من القبائل. وإذ كان زيد الخيل يتمتع بالقوة والفعالية والطموح فطرة وجبلَّةً، فماذا يمنع أن يكون هو ذاك المقدامَ المغوار المُلحَّ الذي وتر أحياء العرب، كما وصفته إحدى سيدات زمانه[1].

وإذا لم يكن غرضنا أن نقبل تصديقاً لكلِّ ما سيق لنا من أخبار مواقعه، غير مستبعدين الوضع وشطحات الخيال، ولا أن نغرق في الأوهام غرق الجماهير حول القصاصين، وإذا كنَّا أيضاً جدَّ حذرين من المبالغات الانفعالية الطاغية في تسجيل الشاعر لمعاركه، فإنَّنا، مع التحوط اليقظ، لا نملك أن نرفض قصائد الشاعر ومقطوعاته على أنَّها صُوىً ومعالم ماثلة تشهد له بإنجازات مرموقة في مجال الفروسيّة والغزو المباح في الجاهليَّة.

حقَّاً، لا نستطيع أن نقيم دليل إثبات - على العلوِّ والظَّفر - من شهادة البطل وحدها لنفسه، ولكن عندما نسمع أصوات الخصوم تردُّ على الشاعر، صدقاً أو باطلاً، دعاوى فخاره أو تزعم أنَّها أدالت لنفسها منه ومن قومه، نعلم أنَّهم قد أقروا بحقيقة واقعة[2]، وعندما يعترف الأسير بمناقب آسره لا يمكن أن نردَّ هذه الشهادة بدعوى الاضطرار، ولا أن نحمل معظمها على المَلَق استرضاءً للآسر، ولا بدَّ أن نسبر القدر الحق من الواقعة المذكورة، أليس اعتراف الحطيئة، وهو أسير لدى زيد الخيل، شهادةً تاريخية مقبولة:

وقعت بعبسٍ ثـم أنعـمت فـيهـم ... ومن آل بـدر قد أجبت الأخـايـرا
فإن يشكروا فالشكر أدنى إلى التقى ... وإن يكفروا لا أُلْفَ، يا زيدُ، كافرا
تـركت المياه من تميم بـلاقعـاً ... بما قد تـرى منهم حلولاً كراكـرا
وحيٍّ سليم قـد أبـرت شـريـدهم ... وبالأمس ما قتلتَ، يا زيدُ، عامرا[3]

وهذا الشعر لا يُمْدح به إلاَّ من تربع سروة السؤدد غير منازع، ولا

---

(١) انظر أمالي الزجاجي: ص ٦٨، والخزانة: ٢/١٦٤.
(٢) انظر ما دار بينه وبين عامر بن الطفيل من الشعر في غزو متبادل في الأغاني: ١٧/١٨٢، ط. دار الثقافة.
(٣) الأغاني: ١٧/١٩١ - ١٩٢، ط. دار الثقافة.

يصوغه إلَّا شاعر عرف الوقائع التاريخيَّة التي بوأت ممدوحه سَرْوة البطولة. لقد كان زيد يوم أسر الحطيئة سيداً من سادات طيِّـىء غير مدافع. وإذا كانت عملية المدح لا تبرأ من تضخيم الفعال لبلوغ النجح وإصابة موقع الرضا من الآسر، ليظفر الحطيئة بحريته، فإننا، إن عزلنا عن الفعل الحجم المضخم عن عمد، بقي الأصل الواقعي لا يتطرق إليه شكٌّ. ومن ثم يحقُّ لنا أن نقرر مطمئنين أنَّ الحطيئة وضع في هذا الشعر مخططاً تقريبياً - سوف تؤيد صحته الوقائع - لغارات زيد الخيل على القبائل استمدّ خطوطه من أحداث عصره التي كان الحطيئة يعيشها أو يعايشها.

ويشهد شعر الحطيئة أن زيد الخيل كان يمعن في غزو القبائل القيسيّة ذلك أن بني عبس من غطفان، وبني بدر بيت ذو عدد من فزارة، وفزارة من ذبيان، وذبيان من غطفان، وغطفان من قيس عيلان.

وكانت بلاد قيس متاخمة لطيء فلا غرو أن تكون الغزوات بينهم سجالاً، وفي شعر زيد الخيل، ذكر كثير لغاراته على الأرض والقبائل الغطفانية:

ولـو كـانـت تكـلم أرض قيسٍ ... لأضحت تـشـتـكي لـبني كـلاب
ويـوم الـملح يـوم بـني سـليـم ... خـددنـاهـم بـأظـفـار ونـاب
وآنـف أن أعـدَّ عـلى نـمـيـر ... وقـائعنـا بـروضـات الـرِّبـاب
وقـد عـلمت بـنـو عبس وبـدر ... ومُـرّة أنَّـني مـرٌّ عـقـابـي[1]

ومرة حي من ذبيان كانت خيل زيد تجتاحهم أحياناً:

صبحْنَ الخيـلُ مُـرَّةَ مسنفـاتٍ ... بـذي أرل وحيّ بني بجـاد[2]

وبنو بجاد هؤلاء من عبس، مما يدلُّ على أنَّ هذه القبائل من غطفان كانت من أقرب الناس منازل إلى جبال طيء، وكان يذكر الأحياء التي يغزوها بأسمائها كما يذكر اسم القبيلة الأم:

---

(١) انظر الشعر ص ٧٤.

(٢) انظر الشعر ص ٩٠.

نحن صبحناهم غداة محجّر   بالخيل محقبة على الأبدان
حتّى وقعنا في سُليم وقعة   في شرٍّ ما يخشى من الحدثان
فاسأل غراب بني فزارة عنهم   واسأل بنا الأحلاف من غطفان
واسأل غنياً يوم نعف محجّر   واسأل كلاباً عن بني نبهان(1)

ولعل غطفان وأحلافها هم بعض هذه القبائل المذكورة في الأبيات يُوحِّد بينها التداخل في الديار، ووحدة الأصل القبلي - إذ أبوهم كلهم قيس عيلان - والتصدي لخطر الطائيين. وغني وغطفان أبناء عمومة لحّاً(2)، وبنو سليم بنو عمومة لحّاً لبني عامر: أبوهم خصفة بن قيس عيلان(3)، وخصفة هذا عمُّ غطفان(4)، وكلاب من بني عامر بن ربيعة بن صعصعة ابن خصفة(5). فليس ببعيد أن يكون ثمَّة تحالف، ولو ضمنياً، ما بين الغطفانيين والعامريين يتألبون بمقتضاه على زيد فارس طيء إذا غزاهم. وينطق شعر زيد الأنف بأنّ غاراته كانت تنتابهم جميعاً دون تمييز، وما تعداد الأسماء إلاّ من قبيل تكثير الفخر.

ووقائع زيد في العامريين كثيرة، يحشد لهم ما استطاع من قوة وخيل ويباغتهم في عقر ديارهم حتّى صاروا يتوقعون طلوعه فإن باغتهم غازٍ حسبوه زيداً:

بني عامر هل تعرفون إذا غدا   أبو مكنف قد شدَّ عَقْد الدوابر
أبت عادة للورد أن يكره القنا   وحاجة رمحي في نمير بن عامر
ونحن هزمنا جمعكم بمتالع   ففاء، ولم يسلم، على شر طائر
ويوم قنا لاقى الكلابيّ عامراً   أخا ثقة ثبتاً قليل العواثر(6)

ويدل شعر زيد، وكان في الحقِّ أشبه ببيان تاريخي لغزواته، أن غاراته

---

(1) انظر الشعر ص ١٥٢.
(2) انظر جمهرة أنساب العرب: ٢٤٤ - ٢٤٩.
(3) المصدر نفسه: ٢٦١ - ٢٧٢.
(4) المصدر السابق: ٢٥٩ وما قبلها.
(5) المصدر السابق: ٢٨٢ - ٢٨٤.
(6) انظر الشعر ص: ١١٠.

تعدَّت قيساً المضريَّة إلى ربيعة النزاريّة، فكان شديد الإلحاح على بعض الأحياء الأسديَّة منهم بنو الصيداء، وكانت لهم شوكة، وكان يكثر فيهم الغزو ترهيباً لهم وخضداً لشوكتهم:

ضجّت بنو الصيداء من حربنا والحرب من تَحْلُلْ به يضجر[١]

ومنهم سلامة، وكان يدعي أنها لا تنسى طعم سيفه:

وقد علمت سلامة أن سيفي كريه كلَّما دعيت نزالِ

وأنَّها كانت تتقي عقابه بالتحايل:

نجا سلامة والرماح شواجر دعواهم دعوى بني الصيداء
لولا ادعاؤهم بدعوى غيرهم وردت نساؤهم على الأطواء[٢]

ولعل بعض البطون من شيبان كانت في المجال الحيوي لغزواته، وشيبان من بكر وائل، فكان له معهم بعض الأيَّام:

نحن الفوارس يوم نعف قشاوة إذ ثار نقع كالعجاجة أغبر
ونحا على شيبان ثم فوارس لا ينكلون إذا الكماة تنذر[٣]

ولكن ذكرهم قليل أو عارض كالتميميين:

إنا لنكثر في قيس وقائعنا وفي تميم وهذا الحي من أسد[٤]

وما ذاك إلاَّ لبعد دار بني تميم، ولكثرة ما بينهم من أقوام وبلاد تجعل الغزو مغامرة خاسرة، ولعلَّ أمره مع التميميين أقرب إلى الدعاية السياسيَّة منه إلى الحقيقة كما هو مع بني حنيفة الذين كانوا يتربعون قلب نجد فلا يستطيع زيد أن يصل إليهم بجيش ولو كان جراراً، وليس قوله:

ويوماً باليمامة قد ذبحنا حنيفة مثل تذباح النِّقاد[٥]

---

(١) انظرالشعر ص ١٢٢.
(٢) انظر الشعر ص١٦٣.
(٣) انظر الشعر ص ١٢٤.
(٤) انظر الشعر ص ٩٥.
(٥) انظر الشعر ص ٩٠.

إلا دعوى عريضة أو صرخة ترهيب من وراء أفق بعيد، في إبهام زمان ـ «ويوماً» ـ، وبعد مكان ـ باليمامة ـ، وفي تهويل أسطوري ـ مثل تنباح النُّقاد ـ ولكن وقائعه وأيَّامه مع العامريين وبني أسد، وبني غطفان ذات مصداقيَّة تاريخيَّة بما أوردنا من الأدلَّة والشواهد، وفي شعره مزيد تفصيل، ولعل أَسْره لبعض فرسان العرب وشعرائهم مما يزيد في ثبوت تلك المصداقيَّة(١).

وبذلك يمكن أن نحدد مجال غاراته في دائرة مركزها «فيد»، وعلى مدى أنصاف أقطار غير بعيدة تتجه شرقاً وجنوباً وغرباً حيث تلاقي أقرب البطون من الأحياء من أسد وعامر وغطفان، وأمَّا الإيغال فيما بعد من منازل تلك القبائل فما يُظن بمأمون العواقب. وما كان زيد الخيل ليترك أعداءه من ورائه يلتفون به. ويؤكد هذه الفرضية أن الغزوات هي حملات خفيفة سريعة تنقض وتحقّق أهدافها في خطفة البرق لتعود إلى قواعدها غانمة وافرة بأقلّ ما يمكن من الخسارة. وإذا كان ألف فارس أضخم ما عنّ لخيال زيد الخيل عَدَدَ جيش:

وقـالـوا عـامـر سـارت إليكـم   بـألـف أو بكـا منـه قليـل(٢)

وأدخلنا في حسابنا المبالغة التي تجعل العدد أضعافاً مضاعفة ترجح لنا أن الغزوات عمادها سرايا خفيفة لا تكاد تبلغ المائة(٣).

تقنيـة عسكريــة:

وإنّ استقراء أخباره وأشعاره معاً لا يدع لدينا شكاً أن زيد الخيل كان يمتاز بخبرة واسعة في شؤون الغزو والقتال، وأنَّ كثرة معاركه وما حالفه من الظفر ينبغي أن يردَّ إلى حركيّة قتالية موفقة، لعلها تعتمد على عنصرين

---

(١) انظر الأغاني: (١٧/١٨٧ ـ ١٩٠)، ط. دار الثقافة.

(٢) انظر الشعر ص ١٤٨. يمكن أن يستأنس في تقدير العدو بعدد الرجال في غزوات الرسول ﷺ، الأولى، وأن زيد الخيل لم يسأل رسول الله ﷺ، أن يمده بغير ثلاثمائة فارس لغير بهم على بلاد الروم. (الأغاني: ١٧/١٧٦ ـ ١٧٧).

(٣) واعترف ابنه عروة أن خيل أبيه في أحد أيَّامه المشهورة ـ يوم محجر، وفيه زعم أنَّه كان في جيش عرمرم ـ لم تزد عن ثلاثة أفراس. (الأغاني: ١٧/١٨١)، والكامل: ٣٤٩. ط. لايبزغ.

أساسيين: السرعة والمباغتة، وكان يختار ساعة للهجوم يكون العدو أبعد شيء عن السلاح والاستعداد:

ونحن صبحناهم غداة محجّر ... بالخيل محقبة على الأبدان[1]

ويكتم مسيره فينْقل مطاياه حتى لا يُسْمع وقع الحوافر والأَخْفاف:

نزجي المطيّ منعَّلاً أَخْفافها ... والجرد مرسلة بلا أرسان[2]

ويدلُّ على اتخاذه هذا التدبير أنَّه كان يحتاط لنفسه بتدبير وقائي مثله فبعث عيوناً وأرصاداً تنذره بتحرك العدو نحوه[3].

وممَّا لا شكَّ فيه، إذا توخينا الإنصاف وتركنا ادعاءات الشعراء، أن زيد الخيل كان يعاني من ويلات الحروب ما يعانيه خصومه؛ وبعض الشعر يوحي بذلك من وراء الألفاظ:

ضجت بنو الصيداء من حربنا ... والحرب من تحلل به يضجر[4]

ولعل في هذا البيت الكثير من إسقاط الشعور على الآخرين ممَّا يعانيه الشاعر نفسه من بلاء الحرب. إنَّ ثمَّة قاعدة صحيحة في كلّ حرب تعم الفريقين معاً: ﴿ إن يمسسكم فرح فقد مسَّ القوم فرح مثله ﴾[5]، ومن ثمَّ نعلم أنَّ كثيراً من الفخار والصوت المجلجل هو في حد ذاته إجراء دفاعي يسبق الحرب للترهيب أو لتفاديها بالتهويل والتخويف، فما يُحسّ نبأةً بوعيدٍ أو خطر حتى ينبري بتهديد عريض:

ونُبِّئْتُ أنّ ابناً لشيماء ههنا ... تغنّى بنا سكران أو متساكرا

وإن حوالي فردة فعناصر ... فكتلة حيّاً يا ابن شيما كراكرا[6]

---

(١) الشعر ص ١٥٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) انظر ديوان الحطيئة ص ٨٣، ط. مصر ١٩٥٨.

(٤) انظر الشعر ص ١٢٢.

(٥) سورة آل عمران: ١٤٠.

(٦) انظر الشعر ص ١١٦.

ولا غضاضة في أن يحمل كثير من شعره على أنَّه نوع من الحرب المعنوية لإدخال الوهن النفسي على الخصوم، ولرفع معنويات رجاله، وذلك مثل خطابه بني الصيداء:

ألا أبلغ بني الصيداء عنِّي   علانية وما يغني السرار
قتلت سراتكم وتركت منكم   خُشاراً قلّ ما نفع الخشار[1]

وهو أمر بين في خطابه للخزرج حلفاء ذبيان إذ كان من المستبعد أن تعبر حملاته بلاد غطفان إلى يثرب، قال:

فمن مبلغ عني الخزارج غارة   على حيّ عوف موجفاً غير نائم[2]

وعلى كلٍّ فإنَّ زيد الخيل كان يجول ويغزو في مدى حيوي من الأرض كافٍ لأن يرهب عدوه، ويحفظ عليه بلاده وقومه، وليوازن في ميدان القوى ما بينه وبين الأعداء موازنة تعدُّ ضرورة من ضرورات الوجود ما بين الكيانات القبلية[3].

---

(١) انظر الشعر ص ١٠٤.
(٢) انظر الشعر ص ١٥٨.
(٣) يدل على ذلك قوله:

إذا عركت عجل بنا ذنب غيرنا   عركنا بتيم اللات ذنب بني عجل

(الشعر ص ١٧٨)، وكذلك قوله:

وأحْللتُكم من لبن داراً وخيمة   وكنتم بأطراف القنان بمرتع
فخرتم بأشياخ أجيبوا بخَنْعةٍ   وتنسون شباناً أنيموا بضلفع

(الشعر ص ١٧٢).

شعر زيد الخيل:
تقويم مجمل

شعره في مظانّه:

ليس لزيد الخيل واحدة بين المعلقات تضعه على قدم المساواة بين نظائره من الشعراء الفرسان أمثال عمرو بن كلثوم التغلبي، وعنترة بن شداد العبسي أو ترتفع به إلى مصافّ فحول القريض، كالأعشى، وزهير، والنابغة. ولم يجد الأصمعي ولا المفضل الضبي، ولا أبو زيد القرشي من الدواعي ما يحفزهم لأن يضمّنوا كتبهم المشهورة قصيدة له، ولم يَحْبُهُ ابن سلاَّم بين طبقات الجاهليين بمقعدٍ ولو في الساقة.

أما ابن قتيبة فعنايته بشعره كانت في «المعاني الكبير» يفسّر له أبياتاً متفرقة استغلق معناها أو غمض، ولم يترجم له في تاريخه الأدبي «الشعر والشعراء» إلاَّ ترجمة مقتضبة، مرفقة ببيتين له في الهجاء، لهما سيرورة على الأفواه. وكان أبو تمام في وحشياته والبحتري في حماسته على شيء من الحفاوة به، لعل من أثرها أن رفعت حظ الاختيار له في الحماسة البصرية وحماسة ابن الشجري وأماليه. ولا شكَّ أن الأدباء النحويين كالزجاجي والبغدادي ـ في الخزانة وشرح شواهد المغني ـ لم يضنوا على قرّائهم بمقطوعات من شعره، ولكن في حدود الغرض النحويّ واللغويّ وإن كانا أسمح عددَ أبياتٍ من أصحاب المعاجم اللغويَّة. ولكنَّا مدينون بسخاء مشكور للأدباء والجغرافيين ـ تفرضه عليهم طبيعة العمل ـ وبخاصة ياقوت الحموي في معجم بلدانه، والبكري في «معجم ما استعجم»، فقد زوّدونا له بالعديد من المقطوعات الفنيَّة الزاخرة بأسماء المواضع والأمكنة.

ومن الواضح، مما بينا أنَّ الأدباء كانوا زاهدين في الانتقاء له، أو مقتصدين، وأن العلماء من اللغويين والجغرافيين والمؤرخين كانوا يستشهدون من شعره بقدر محدود، ولولا أبيات كان يُغنّى بها لزيد الخيل لم يمنح أبو الفرج من أغانيه ذلك الحيِّز الحسن لعدد من قصائد الشاعر ومقطوعاته في إطارها التاريخي أو القصصي من الوقائع والأخبار.

تقويم شعره في النقد القديم:

ولعل التقويم النقدي الجامع الذي توّج به أبو الفرج ترجمة زيد الخيل يعدل ما أورد له من خبر وشعر أهميةً إن لم يفقها، فإنّ مقاله فيه: «هو شاعر مخضرم، معدود في الشعراء الفرسان، وإنَّما كان يقول الشعر في غاراته ومفاخراته ومغازيه وأياديه عند من مرّ عليه وأحسن في قراه إليه»[١]، هو حصالة قراءة وافية واعية لديوانه وأخباره، وهو الرأي المصفى المنقح - وفق معاييره النقدية - في منزلته من دوحة الشعر، وفي أغراضه، وفي طبيعة هذه الأغراض وصلتها بذاته ونشاطه.

ولا مندوحة لباحث من أن يولي مقالة أبي الفرج عناية وتقديراً لما يتمتع به من اطلاع واسع، وحسٍّ نقديٍّ مصقول، وخبرة موزونة في صناعة الأحكام. وغير بعيد أن يكون قد تجمع في تقويمه نظرات الرواة والنقّاد المتقدمين عليه، فإنَّ الأصمعي قد قرر في غير موضع من كتابه «فحولة الشعراء» أنَّه في الشعراء الفرسان[٢]، وصيغة اسم المفعول «معدود في الشعراء الفرسان» في عبارة أبي الفرج توحي بعَزْو هذا التقويم لغيره، ولكنه يحظى بموافقته وإقراره لا شكَّ، وبذلك يُستفاد أن ناقداً من النقاد - حتى القرن الرابع الهجري على الأقل - لم يرفع زيد الخيل إلى منزلة الفحول من الشعراء.

والشاعر الفحل - في رأي الأصمعي[٣] - هو الذي له مزيةُ تفوُّقٍ يسمو

(١) الأغاني: ١٧/١٧٢، ط. دار الثقافة، بيروت.

(٢) فحولة الشعراء: ص ٢٩ و٤٤، المطبعة المنيرية في الأزهر.

(٣) قال: «الفحل: له مزية على غيره كمزيّة الفحل على الحقاق». المصدر السابق ص ١٣.

بها على الرَّعيل من الشعراء. وإذ لم يكن زيد الخيل عند رواة الشعر ونقاده ممن تفوق على الرعيل، تفوقه في حَلْبة الصراع والبطولات، فإنَّنا أمام فرضيّة، تقاربُ أن تكون حقيقة مُقرّرة، أنَّ هؤلاء لم يجدوا له قصيدةً لها من مزايا الإبداع الفنيِّ مَا يغريهم بضمّها لمختاراتهم وتصانيفهم. فإنْ كان الأمر كذلك فإمَّا أن يكون شعره في تقديرهم ذا خصائص عامة متداولة قد أجزأهم عنها القصائد الممتازة التي أوردوها لغيره، وإمَّا أن يكون، في إنتاجه الشعري وصنعته، لم يبلغ مستوى الاختيار المطلوب. وعلى الاستقراء الموضوعي والتفتيش الدقيق أن يتحقّق أيُّ الأمرين أو الاحتمالين هو الحقُّ؛ فإن كان الأول وجب أن نستبين الأسباب التي منعت زيد الخيل من أن يقتحم العقبة إلى التفوق وهو معدود في الشعراء حقاً، وإن كان الثاني فما السلبيات التي قعدت به عن مقاعد القمم؟ وفي كلا الحالين نجدنا مطالبين بدراسة ذات استقصاء لما بين أيدينا من محصوله الشعري، أغراضاً وأسلوباً، لنخلص إلى حكم أو تقويم منصف مشتق من واقع دراسة تطبيقية.

أغـراض شعـــره:

لا يدع لِنا المسح التام، لما تحصل لنا من شعره، شكاً في أن زيد الخيل كان يسخِّر شعره في أغراض عملية بحتة. وإذا كان مطلب هذا الرجل السؤدد الذاتي والقبلي، ووسيلته إليه البطولة والحرب، فمن طبيعة الأمور أن يسخر شعره للمناحي المتصلة أو الخاصة بهذا الغرض. ويحسن أن نسجل، بدءاً، ظاهرة بارزة هي أنّ شعره تابع خاضع لأهدافه وأغراضه، وليست مواقفه وممارساته الميدانيّة مرقى للتحليق في سماء الشعر والتجويد فيه. فالعمل الأدبي لديه غير مطلوب لذاته ليرتفع بصاحبه شاعراً على الشعراء بل هو رقيم إنجازاته، وصورة ذاتية واقعية لمطالبه واتجاهاته، إنّ وظيفة الشعر، عند زيد الخيل، ذات مفهوم عملي بعيد عن المطالب الأدبية المثالية، مما له تأثير معين على الجانب النفسي: دواعي النظم وحوافزه، ودرجة الاحتشاد أو التعبئة الأدبية، وعلى العطاء الشعري كماً ونوعاً.

وبناءً على ما تقدَّم من حقائق فإنَّ ما نظمه زيد الخيل لا يجاوز

الأغراض القتاليَّة والسياسيَّة في نطاقها القبلي. وكثير من مقطوعاته، وما يظن أنَّها بقايا قصائد، لا تزال عنا غائبة، هي ذكر لغاراته وأيَّامه في القبائل. وما له من فخر واستعلاء[1] أو تهديد ووعيد[2] أو دفاع[3]، أو وصف للخيل والسلاح[4] أو لوم[5] أو نقد سياسي[6] هو من مادة ذلك الغرض.

شعــره صنفــان:

وشعره الحربي صنفان متميزان: صِنْف جماعي قبليّ يذوب فيه صوت الشاعر في هدير قبليّ عريض، وشخصه يغيب في جمعهم الدفّاق، وصِنْف تستعلن فيه «أنا» الشاعر، ويُشْرف على قومه بذاتٍ معتدة، يتمركز حولها كأنه قطب الرحىٰ فيهم.

وللصنف الأول نمط من النظم يتسم بالترتيب الواقعي في وصف الغارة: تبدأ القصيدة - غالباً - بمنطلق القوم مشفوعاً بعرض لأصول الخيل ومزاياها وسرعتها - وهو عرض مركز سريع يضاهي سرعة الخيل - حتى إذا شارفت طلبتها من العدوّ هُيّئت للغارة، وبُذل لها ما تزوّد به أصحابها من ماء قليل، ثم كان الانقضاض الخاطف والهدف المحقَّق من القتل والسبي لتعلو نداءات الفخار، وليضاف النصر إلى بيان حاشد بانتصارات آنفة كثيرة[7].

ويدلُّ هذا الترتيب المنسَّق من مراحل عمليَّة خالصة، أنَّه انعكاس تلقائيّ للخبرة، كما يدل انتقاء الجزئيات البارزة على ممارسة واعية تتجلىٰ في تلك الصور الميدانية ذات التعبير المركز، كقوله:

والخيـل تعلم أني كنت فـارسهـا يومَ الأكسُّ به من نجـدة رَوَقُ[8]

---

(١) انظر - مثلاً - الشعر ص ٧١.
(٢) انظر الشعر ص ١١٦.
(٣) والشعر ص ٦٧.
(٤) والشعر ص ٨٢ وص ٨٣.
(٥) والشعر ص ٧١ وص ١٢٧.
(٦) والشعر ص ١٤٢.
(٧) انظر الشعر ص ٧١.
(٨) انظر الشعر ص ١٣٤.

وقوله:

ولست بـذي كهـرورة غيـر أنَّني إذا طلعتْ أولى المُغيرةِ أعبس[1]

وحسب الشعر صدقاً تتفتح له الأنفس أن يكون منهجاً وعناصر من معطيات واقعية صاغت منها التجربة والموهبة نسيجاً متلائماً سوياً. فإذا لم يُتح للشاعر أن ينظم في الغارة غير الأبيات القليلة حذفت بعض المراحل ـ كمرحلة الانطلاق ـ وبعض التفصيلات ـ كأوصاف الخيل والأرض ـ وانصبَّ التركيز على أسماء الأيَّام والأقوام، وعلى الإنجازات في عرض شريطيّ متجانس الصور متوحد الإطار[2]. ويزداد التفصيل طرداً وعدد الأبيات، ففي مقطوعة من خمسة أبيات ثَمَّة فرص لصور لمّاحة لإضافات ذات قيمة وأثر: كالانتماء عند القتال، والتنافر، ووصف الصبر والعناء والسلاح وما لحق العدوّ من قتل أو فرار، فلا يعدم الإيجاز والتركيز وسرعة العرض صوراً على خطّ معبر ومؤثر من البسط والتوسيع والتنويع[3].

وفي النِّصف الثاني من شعره نجد زيد الخيل هو المركز المعبَّأ تنبثق منه القوى، فهو القائد، والجيش جيشه، والخيل خيله، وهو الآسر وهو المطارد، وهو للعدو السم، وهو الخوف أن يفاجئهم:

بني عـامر هـل تعرفـون إذا غـدا أبو مكنف قد شدَّ عقد الدوابر[4]

وفي أمثال هذا الشعر نطلع على ذاتية الشاعر من خلال الوقائع الحيَّة فنرىٰ فيه رجلاً يشقُّ الدروب بتصميم ليبلغ بقومه مرابع الانتصار، منتصباً لأعيننا قامة شماء تطوي غيرها بين ذراعيها، كالجبل المنيف على ما حوله، ربأ للميدان ومصدراً للبطولات غير منازَع، لا يهدأ ولا يقر حتى يصنع بعدوه

---

(١) انظر الشعر ص ١٣٢.

(٢) انظر الشعر:

صبحـن الخيـل مـرة مسنفـات بـذي أرل وحـيّ بـنـي بـجـاد

(ص ٢٨).

(٣) انظر الشعر ص ١٢٤.

(٤) انظر الشعر ص ١١٠.

ما يُسَلّم له به بالعلوِّ والغلبة(١). ولعل شعراً في وقائعه ذاتية الشاعر وفرديته يتودد إلى نفوسنا بغير قليل من الجاذبية والإثارة بل الإعجاب ببطل كانت كلمته عدسة مصورة لمواقفه، بارعة في انتقائها.

وكلا هذين الصنفين من شعره هو وليد دافع حيوي ليس فيه لهو من حديث أو غرور من مدّع، ولكن معاناةُ بطلٍ حقٍّ بطلٍ لقضاياه على مستواها القبلي والفردي، وسواء جنح به الخيال إلى مبالغات البطولة وتهاويلها أو اقتصد في ادعاءاته فإنّما هو ينطلق بدءاً من تجربة وانبعاث عملي، فلا ينظم إلاَّ فيما له مساس بشخصه وقومه ومحيطه، وبذلك تطبع الواقعية شعره بالأصالة: موضوعه ومنحاه في التعبير معاً.

واقعية الأداء الفني:

وحسب الموضوع واقعية أن تكون مادته ما نوهنا به من مواقف الشاعر الحيوية وممارساته الميدانيَّة. أما واقعية التعبير فهي شاخصة في شعره نمطاً وبُنْية.

ويبدو النمط الواقعي في الطريقة التي يستهل بها الغرض. وما كان زيد الخيل ضعيف الدراية بالتقليد الشعري لعصره بأن تستهل القصيدة بمقدمة تمهيدية تتغنى بالأطلال أو النساء، وبعض المقطوعات تشهد بمشاركة محدودة في هذا التقليد السائد(٢)، ولكن معظم قصائده تخلو منها.

ويبدي زيد الخيل مهارة معجبة في تناول موضوعه تَوّاً من زاوية رئيسة منها ينبعث، ومنها تنتشر أبعاده وامتداداته نشراً حركياً حيوياً كالابتداء بهذا المطلع الساحر في ردّه على كعب بن زهير:

أفي كلِّ عامٍ مأتمٌ تبْعثونهُ ... على مِحْمَرٍ عود أثيب وما رضى
تُجدّون خمشاً بعد خمش كأنَّه ... على فاجع من خيرِ قومكمُ نُعى(٣)

---

(١) انظر الشعر (ص ١٢٤)، و(ص ١١٠)، وهو ما سبق.
(٢) انظر الشعر ص ١٤٨، وص ١٦١.
(٣) انظر الشعر ص ٦٧.

وإذا كان مثل هذا المطلع قد باعد الشاعر عن الشكل والعناصر التقليدية في الشعر الجاهلي، فإنّ بعض المطالع تستفيد من تلك العناصر في معرض التناول المباشر، فتغدو أسماء المواضع والخيل وصفاتها وسيرها عناصر مدرجة في الغرض، أساسية، ذات قرار مكين كما غدت أسماء الجبال والبلاد والخيل مادة الغرض ما بين الانطلاق والوصول إلى موضع الغارة في هذا المطلع:

جَلَبْنا الخيلَ من أَجَأ وسَلْمى تَخبُّ نَزائعاً خبَبَ الرِّكابِ
جلبنا كلَّ طِرْفٍ أعْوجيٍّ وسَلْهبةٍ كخافية الغراب
نَسوفٍ للحزامِ بمرفقيها شَنونِ الصّلْب صمّاءِ الكعابِ
كأنّ محالَها بالنيّر حَرْثٌ أثارَتْه بمُحْجِرةٍ صِلاب
فلمّا أنْ بدتْ أعلامُ لُبْنى وكنّ لها كمُسْتَتِرِ الحجاب
عرضناهن من سَمَل الأداوىٰ فمُصْطبحٌ على عَجَلٍ وآب[1]

ومن الطرافة أن تنتزع التراكيب المسبقة الصُنْع مثل «خبب الركاب ـ خافية الغراب ـ شنون الصلب ـ صماء الكعاب ـ أعلام لبنى»، من توضعاتها الفنية التقليدية، وأن تصاغ في صميم الغرض صياغة حيوية.

وأكثر ما تذكر الديار في شعر العرب في معرض النسيب، ولكن زيد الخيل ينقل هذا التقليد باقتدار ومهارة إلى مجال الفخر، ويسلكه في غرضه مسلكاً بعيداً عن أن نحسّ فيه نتوءاً أو توعراً، ليضفي لوناً واقعياً أيضاً على دعاوى فخاره، في مطلع لا يكاد يتميز عن باقي القصيدة لتوحد الغرض، قال:

منعنا بين رشقَ إلى المطالي بحيٍّ، ذي مكابرة، عنودِ
نزلنا بين فَيْدٍ والخلافىٰ بحيٍّ، ذي مداراة، شديد
وحلت سنبسٌ طلحَ العيارى وقد رغبت بنصر بني لبيد[2]

(١) انظر الشعر ص ٧١.
(٢) انظر الشعر ص ١٠١.

وفيما لدينا من شعر زيد الخيل مقنع بأنه كان شاعراً عملياً يؤثر مباشرة الغرض دون إرهاصات عاطفية أو كلاميَّة ولا سيَّما القصائد التي سحق فيها أعداءه أو أسرهم فإن الموقف العزيز الغالب يدفعه أن يستهل قصائده بالإدلال على أعدائه، كأن يقول:

بني عـامر هـل تعرفـون إذا غـدا　　أبو مكنف قد شد عقد الدوائر(١)

وقوله:

أقـول لعبـدي جـرول إذ أسـرتـه　　أثبني ولا يغـررك أنَّـك شـاعـر(٢)

وقوله:

كـررت على أبطال سـود ومـالـك　　ومثلي دعا الداعي إذا هو مُدّدا(٣)

وكقوله:

تـمـنّـى مَـزْيَـد زيـداً فـلاقـى　　أخـا ثقـة إذا اختلف العـوالى(٤)

أو يتغنى مخبراً قومه بما فعل بعدوّه:

ألا هـل أتى غـوثـاً وروماـان أننـا　　صبحنا بني ذبيان إحدى العظائم(٥)

فإن جرى في رسم التقليد، واستحدث مطلعاً غزلياً خالصاً فإنَّك تحسّ منه صيقاً مما أخذ به نفسه، فلا ينظم فيه البيتين حتى يسرع بالخروج إلى غرضه(٦).

وحظ الجزئيات من سمات الواقعية - في القصيدة - لا يقل عن مثله في الخطة العامة، فالصورة الكثيرة، التي تشهد له بالقدرة على التعبير الحسي عن المعنويات والتصوير للماديات، تلتقطها عيناه وحواسه من أقرب موارده،

---

(١) انظر الشعر ص ١١٠.
(٢) الشعر ص ١١٤.
(٣) الشعر ص ٩٧.
(٤) الشعر ص ١٣٧.
(٥) الشعر ص ١٥٣.
(٦) انظر الشعر ص ٩٧.

وتركّب بصيرته الخيالية من مواد الواقع، المحدود بحدود أرضه وسمائه ووسائل حياته وطبيعتها ونوعها صوراً ذات قدرة تعبيريَّة حسنة ناتجة عن التماسّ والمعاناة. وما أكثر الشواهد! ألم يكن زيد الخيل صاحب سيف صارم يبلغ به أهدافه فإذا صوّر أثر البلاء لم يكن أقرب إلى حسِّه من حد السيف شيء:

وسائل بني نبهان عنَّا، وعندهم بلاء كحد السيف إذ قطع اليدا[1]

وإنَّ الكلمات الدقيقة، المتدفقة عن شعورٍ بادهٍ حيٍّ، ووليد المعاناة، تعكس عمق البلاء وحدَّته وشدَّته: «حد السيف ـ قطع اليدا».

وليس أقرب إليه، إذا وصف ما أكلت الحرب من لحمه وشحمه، وما أبقت له من جسد هُزالٍ، إلّا لجام فرسه الذي أكل حديدة العضّ والمراس:

رأتني كأشلاء اللِّجام ولن ترى أخا الحرب إلا ساهم الوجه أغبرا[2]

فمن موجودات بيئته يركب صوره، من جبالها وطيورها الجارحة:

بجيش تضل البُلْق في حجراته ترى الأكم فيه سجداً للحوافر[3]

ومن صحرائها ونباتها:

وإنِّي ليغشىٰ أبعدُ الحيّ جفنتي إذا ورق الطلح الطّوال تحسّرا[4]

ومن نعامها:

فتواهقوا رسلاً كأنّ شريدهم جنح الظلام نعامُ سيفٍ نُفّرُ[5]

وقد تتفق له الصورة على سذاجة فنية أشبه ببيئته الساذجة:

(١) انظر الشعر ص ٩٧.
(٢) الشعر ص ١٠٨.
(٣) الشعر ص ١١٠.
(٤) الشعر ص ١٠٨.
(٥) الشعر ص ١٢٤.

كـأنَّ نعـام الـدوّ بـاض عليهم وأعينهم تحت الحـديد خـوازر[١]

فما أبسط المقارنة بين طرفي التشبيه وما أبسط التركيب، ولكنه أفضل استثمار - مع ذلك - لمواد البيئة. ومن ثم نجد مياه الصحراء ومستحدثاتها البدائية إهاباً لتجسيم المعنويات:

فلستُ إذا ما الموت حـوذر ورده وأُتْـرع حـوضـاه وجمّـح نـاظـر[٢]

وقد يستمد الصور من الآلات المصنوعة والمعادن المألوفة:

وجـاءت بنـو معنٍ كـأنّ سيوفَهم مصابيح من سُقْفٍ فليس بآيب[٣]

ومن العادات والأساليب الموروثة:

ثم يكـون العقـل منكم صحيفـة كما علقت على السليم الجلاجل[٤]

ومن الطبيعة المطلة عليه:

تـذكّـر وطْـبـه لـمـا رآنـي أُقـلِّبُ صَعْـدةً مثـل الهـلال[٥]

وتبلغ به الدقة الفنية أن يؤلف أحكم الصور من مواد حيّة يتجاوزها الانتباه كالحشرات؛ قال يصف نصالاً:

كـأنَّ على أعجـازهـا أُطْـرَ أَدْبُـرٍ بدت من شَفا ذي كِفّةٍ ما يطولُها[٦]

وزيد الخيل، وإن تناول المحسوسات والماديات من مكان قريب جرياً مع واقعية التعبير، يبلغ في تشابيهه وكناياته من المواءمة ما بين طرفي التشبيه، وما بين ظاهر تركيب الكناية ولازمه، ما يشهد له بحاسّة تصويريَّة مرهفة مدققة قادرة على تأليف صور من أيسر المواد ذات ذخر معنوي مركز في لفظ وافٍ موجزٍ، كما تدلُّ طائفة الصور التي عرضناها، ولا سيما قوله:

---

(١) الشعر ص ١٨١.
(٢) الشعر ص ١١٨.
(٣) الشعر ص ٨٥.
(٤) الشعر ص ١٤٢.
(٥) الشعر ص ١٣٧.
(٦) الشعر ص ١٨٠.

ثم يكـون العقـل منكم صحيفــة　　كما علقت على السليم الجلاجل[1]

وتصدر أمثال هذه الصور عند زيد الخيل عن عضوية المطابقة والمقارنة بين الأشياء والأحوال فيعقد إحساسه ما بين الأطراف عقداً تلقائياً يخلو من التكلف والاقتسار، ويتلقّفها التعبير من فورة الشعـور المنبجس من واقع المعاناة كما يبدو ذلك جلياً في الصورة الانبجاسية التلقائية التالية:

ويــوم الـملح يــوم بـني سـليـم　　خــددنــاهــم بــأظفــار ونــاب[2]

أليست وحشية الصورة انبثاقاً عفوياً من حقيقة الشعور بواقع التجربة والمعاناة، فإذا الصورةُ المعبّرة تواردٌ عفوي، وتشكّل لفظي تلقائي.

كان زيد الخيل، إذن، ينظم الشعر في فوران انفعال غير مصطنع، وغير خاضع لجهد انتقائي مقصود في تأليف الألفاظ والصور، ومن ثم كان وصفه وصوره معاً لقطات من صميم الوقائع والتجارب تؤلف بألوانها وحركاتها وهيئاتها موقفاً أو جملة من مواقف متكاملة. وما صور الكناية في الأبيات التالية إلّا لقطات جزئية، كانت حواسه قبستها من ميدان القتال واختزنها شعوره الباطن حتى نجمت في وهلة الاستجاشة الشعرية، في معـادلهـا اللّفظي، مخرجاً حياً غير ذي تعمل، وكلٌّ منها توحي بتمام الصورة التي تمتُّ إليها:

هـلا سألت بني نبهـان ما حسبي　　عند الطعان إذا ما احمرت الحدقُ
وجـاءت الخيـل محمـراً بـوادرهـا　　بـالمـاء يسفـح عن لبّـاتهـا العَلَقُ
والخيـل تعلم أنّي كنت فـارسهـا　　يوم الأَكَسُّ به من نجـدة رَوَقُ[3]

وفي كثرة النماذج دليل على شاعرية سخيّـةٍ تتناول لـه المعطيـات الواقعية؛ وتؤلف بينهما بموهبة ذات حسٍّ سليم، تقتبس أقوى العناصر القادرة على الإيحاء، فإذا هذا التجاوب العضوي بين الموهبة والمعطيات يطلع علينا بصور تصويريَّة أو قوليَّة بالغة من الدِّقَّة أقصاها في يسر من اللفظ ليس ثمة

---

(١) انظر أول الأبيات ومناسبة الشعر لتقدير محتوى الصورة (الشعر ص ١٤٢).

(٢) انظر الشعر ص ٧١.

(٣) انظر معاني الأبيات ص ١٣٤.

أمسُّ صلةً منه بالغرض ولا آلفُ له الألسنةُ. ولنقرأ وصفه لأحد أسراه:

وسقنا نساء الحي مُـرّةَ بـائفنـا ... وبالخيل تردي قد حَوَيْنا ابن ظالم
جنيباً لأعضـاد النـواجي يقـدنـه ... على تعبٍ بينَ النـواجي الـرّواسم
يقول: اقبلوا مني الفداء وأنعمـوا ... عليّ، وجـزّوني مكـان القـوادم
وقـد مسّ حدُّ الـرمح قـوّارةَ استه ... فصارت كشِدْقِ الأعلم المُتضاجم[1]

قد يمج ذوقنا مجاً ذلك التعبير المكشوف في البيت الأخير ولكنه في دائرة الغرض وظلال البيئة هو في القمة من التصوير الموحي، وإن أشنع الألفاظ لتُوظّف توظيفاً تصفّق له أيدي الفنَّ مليّاً، فإنَّ العلاقة اللفظية ما بين «حدّ الرمح» و «قوارة استه» تبعث في السامع شعوراً مزدوجاً: الإحساس ببؤس هذا الأسير دماً يكابد من ألم حاد مخجل، والضحك من تلاعب البطل وتهزئه بأسيره.

وهـذا التهزؤ المضحـك هو الغـرض الصميم إذ لا تلبث ضحكة السامعين أن تنطلق عالية مع الصورة الهازلة التي تمـلأ الشطر الثـاني: «فصارت كشدق الأعلم المتضاجم»، فيغطّي الضحك الساخر على مرارة المأسور، وما أبسط الصورة وما أكثرها بدائية «كشدق الأعلم المتضاجم»، ولكن أي تشبيه آخر يستطيع أن ينافسه في محتواه التعبيري وقدرته على الإيحاء وقرب متناوله؟

مزاج وأسلوب ساخر:

ونحن ندين في الحقِّ إلى مقدرة الشاعر على الانسيـاب الشعري العفوي في التعرف على مزاجه النفسي، فالرجل كان يتهكم بخصومه تهكماً أشد عليهم من «حد الرمح»، وأقتل من السيف والهزيمة، وكم في الأبيات السابقة من صورة مفصّلة تبعث على الضحك من المغلوب، وأي سخرية مرة في قوله:

---

(١) انظر الشعر ص ١٥٧.

تــذكّــر وَطْــبــه لــمــا رآنــي أُقــلّب صَعْــدة مــثــل الهــلال[1]

وفي المقابلة ما بين الصورتين ـ البطل بيده الرمح وخصمه مشغول قلبه بسقاء اللبن ـ ناتج حَتْمي من استسخارٍ قتّال.

وما كان التهكم فناً عارضاً في شعره بل هو من الأصالة بمكان إذ هو تبع لمزاجه، ونلاقي صوراً منه في مطلع بعض قصائد الهجاء، كقوله:

أفي كــلّ عــام مــأتم تبعثــونــه على مِحْمرٍ عود أثيب وما رُضىٰ
تُجـدّون خمشاً بعـد خمش كأنَّـه على فاجعٍ من خير قومكم نُعىٰ[2]

ويشهد له هذا التصوير التهكمي بقدر متفوّق من الإبداع يتجلى في كلٍّ عنصر أو جزئية من الصورة الساخرة: في إخراجِ المطالبة بالفرس الذي أهدي إليه بصورة المأتم، وفي تكرار الفعل «في كلّ عام» فهو يعيش في نفوسهم ولذلك «يبعثونه» على ميعاد، وفي تحقير الهدية «على محمر»، وفي الأثر المادي المضحك للفاجعة «تجدون خمشاً بعد خمش» ثم في هذا الاستفهام الإنكاري المشحون سخريةً الذي يلف البيتين معاً. أليس اختيار هذه العناصر وتأليفها منسقة متكاملة في بنية فنية، متزنة الأجزاء متحدتها، يشهد لزيد الخيل بالخيال الطليق والموهبة الفطرية، والحسِّ الفني، والملكة اللغوية المواتية، والانسياب التلقائي في النظم انبعاثاً من إثارة مُلحّة؟.

الطابــع الارتجالــي:

وإذا فحصنا بعض المقطوعات ذات الأبيات الثلاثة والخمسة، مما لا يظن أنّها بقايا أو مقتطفات من قصائد أطول، نجد من سماتها الفنية ما يزكّي حكماً بقدرة الشاعر على الارتجال في مواقف الانفعال والإثارة.

ولعل الشعر كان يواتيه فيها مواتاة وافية بأغراضه. لقد كان زيد خطيباً ورجل قبيلة في سدة القيادة، يحمل مسؤولية الكلمة والسيف، وعلى عاتقه كان يقع تحديد الأهداف، وتوحيد المشاعر، وعقد العزائم، وتنفيذ الخطط،

---

(١) انظر الشعر ص ١٣٧.
(٢) انظر الشعر ص ٦٧.

وشحن القلوب بالمعنويات الشماء مستعلياً بنصر أو متحدياً لعدوّ، فكانت كلمة هذا الزعيم القائد، فيما ينوب قومه من ملمات، مصغىٰ الأسماع، ومعقد الآراء، لا نشك أن الموقف الخطابي كان يسعفه بالأبيات، عفو الانفعال في نبرات حادة ودويّ مجلجل بين ثنايا الخطبة. وهذا الطابع الارتجالي ظاهر ظهوراً بيّناً في عدد من المقطوعات، منها قوله:

صَبَحْنَ الخَيْـلُ مـرة مسنفـات   بـذي أُرُل، وحيٍّ بـنـي بـجـاد
ويـومـاً بـالبـطاح عـركن قيسـاً   غـداتئـذٍ بـأرمـاح شـداد
ويـومـاً بـاليمامـة قـد ذبحنـا   حنيفةً مثـل تـذبـاح النِّقـاد[1]

ألا تطالعنا سمات الارتجال في وحدة الصياغة للتراكيب أو التوازن [ويوماً بالبطاح... -ويوماً باليمامة...]، وفي سذاجة الصفة الدالة على سرعة القول [أرماح شداد]، وفي المبالغة الهوجاء التي تسر الجمهور [ذبحنا حنيفة مثل تذباح النقاد]، وفي الحشو في البيت الثاني [غداتئذ]؟ إن هذا الظرف ليس بذي غناء، وقد تقدَّم مثله في مطلع البيت [ويوماً بالبطاح]، وليس الغرض منه إلاَّ ملء حيِّز من عروض البيت وقد أعجل الارتجال الشاعر عن لفظ مستقرّ مليء. وإذا كنَّا لا نجد فيما لدينا من شعر زيد الخير مثالاً للغة الأقل فصاحة، غير قوله: «صَبَحْنَ الخيلُ» أفلا تكون دليلاً - في هذه الأبيات - على القول المرتجل المتعجل الذي يُخْضع الشاعرَ لعارض من القول فلا اختيار ولا تهذيب؟.

وفي الأسلوب الخطابي يُعوّل الشاعر على الجانب اللفظي لإحداث التأثير كما تحكي أبيات التحدّي التالية:

ونُبِّئتُ أن ابنـاً لشيـمـاء هـهنـا   تغنّى بنـا سكـران أو متسـاكـرا
وإنّ حـوالـي فَـرْدةٍ فعُـنـاصـرٍ   فكتلةَ حياً يا ابن شيما كـراكـرا
ونحن مـلأنـا جـوّ موقـق بعـدكـم   بني شَمَجَى خطيـة وحـوافـرا[2]

---

(١) انظر الشعر ص ٩٠.

(٢) وهي اللغة المعروفة عند النحاة بلغة: «أكلوني البراغيث». انظر الشعر ص ٩٠.

(٣) انظر الشعر ص ١١٦.

فالإشارة ـ ههنا ـ شاهدة على الموقف الخطابي، والنداء من متكآت هذا الأسلوب ومؤثراته ـ يا ابن شيما... بني شَمَجى ـ والألفاظ الضخام التي تملأ شدقي الشاعر الخطيب وتوقر الأسماع ـ كراكرا... جوَّ موقق... بني شَمَجىٰ ـ ويعلو جرسها على ألفاظ الأبيات ذات الجزالة الظاهرة، كان كلا منها دفقة من فخـارٍ جيّاش يريد أن يخرق بجزالته وثقله الآذان إلى القلوب، وهل العطف في قوله: «سكران أو متساكرا» إلا تشاغل لفظي من خطيب(1)؟.

شعــر الرويّــة:

وتغيب هذه الملامح الخطابية أو الارتجالية في معظم ما نظم زيد الخيل وهي القصائد التي مرّت في شعوره الباطن بدور الاختمار والتفاعل الهادىء، وفيه تعيش التجربة الشعرية عملية تصفيةٍ وانتقاء لا شعوري، ويقل فيها نصيب اللفظية ويتنامى المعنى أو العاطفة فيحقق بينه وبين الألفاظ تعادلاً متكاملاً، من أمثلته هذه المقدمة الطللية التقليدية:

عفـا من آلِ فـاطمـةَ السَّليـلُ ... وقَـد قـدمت بـذي أَوَبٍ طُلولُ
خـلتْ وتـزجَّـرَ القَلَعُ الغـوادي ... عـليهـا فـالأنيس بـهـا قـليـل
وقـفت بـهـا فلمّـا لـم تجبني ... بكيتُ ولم أَخَـلْ أني جهـولُ(2)

فالانسياب اللفظي في الأبيات محمول على انسياب عاطفي مماثل، وظاهرة التدبر للشعر بادية في هدوء المشاعر وانعكاساتها على اللفظ، في الأسلوب الخبري المتلاحق الجمل، وفي الأفعال الماضية والمتماسكة فيما بينها بأدوات العطف أو الشرط.

والإحكام والتعادل الموزون ما بين اللفظ والمعنى مزيّة تشهد لزيد الخيل بالاقتدار على الشعر الرفيع إن توخّاه عن رويَّة وإعداد، حتَّى نراه أشبه ببناء مرصوص مُسوّى:

لمـا أحسّ بـأن الـوَرْدَ مـدركـه ... وصـارماً وربيط الجـأش ذا لبـد

---

(1) وانظر في سمة الارتجال مقطوعات أُخر ص ١٢٤ و ١٣٢.
(2) انظر الشعر ص ١٤٨.

نـادىٰ إليَّ بسِلْم بعـدمـا أخـذت   منـه المنيّـةُ بـالحيـزوم واللُّغُـد[٢]

فكلٌّ كلمة في مستقرها، وهي جزء محكم في وصف منسّق، تضامَّت وحداته في بيتين عقدت بينهما الأداة «لما» برباط شديد الأسر.

لم حُطّ عن مرتبة الفحول؟:

والآن ألا يحق لنا أن نسأل: لِـمَ لم يبلغ زيد الخيل مرتبة الفحول في الجاهلية وقد كان مقتدراً على الشعر ارتجالاً وإعداداً إذا شاء؟.

لعلنا أجبنا عن هذا السؤال في غير هذا الموضع. فما كان زيد الخيل لساناً يتصرف به الشعر، ولكنّه كان يتصرف هو بالشعر في متطلبات حياته الملأى نشاطاً ومسؤولياتٍ جساماً. ولذلك كان يسخره في شؤونه على قدر، فكان لهذا أثره في حجم الشعر وفي نوعيته. فما كان من مطالبه: أن يكون له الشعر السائر في العرب، فينظم الكثير منه، ومن ثم كان «مقلاً» ـ كما وصفه صاحب الأغاني ـ إذ كان أكثر همِّه أن يقول في الحادثة والموقف الكلمة الجامعة الموفقة المؤثرة، وما كان ليسهر الليالي في نظم المطوّلات يردّد فيها النظر وينقّح ويحكك، وكان من المهام القيادية والطموحات العملية، في شغل عن تنقيح الشعر وتثقيفه. ومن ثم كانت قصائده أجنح إلى القصر تخف نظماً وحفظاً، كما كان يتوخى الإيجاز في صياغة معانيه، فجاء أكثر شعره أبياتاً محكمة، استوفت الغرض من غير إطالة ولا تكرار. ولم يركب الشعر مطية إلى الزعامة، ولم يتخذه غير وسيلة إعلام سخَّرها ترجماناً بين يدي حاجاته من القول.

ولا يتأتى لشاعر أن يرتفع إلى القمة في النظم إلّا إذا كان له من الدواعي ما يحفزه على العناية بشعره كثرةً وتجويداً، وكان اتجاهه أو همُّه لا يتوقف عند قول الكلمة التي يريدها في جمهور محدود، من قبيلته وخصومه، بل يشرئب إلى ما يتجاوز هذا النطاق: إلى المحافل الأدبية من النقاد، وكبار الشعراء، وذوّاقي الأدب وأهل الحكم عليه، فإذا نظم طمع أن يبلغ موضع

---

(١) انظر الشعر ص ٩٥.

الرضا عند هذه الطبقة الراقية أو المتخصصة التي تمنح الشاعر موضعه بين الشعراء. فما كان زيد الخيل كنابغة بني ذبيان يود أن تضرب له في أسواق العرب قبة من أدم ينشد منها قصائد تتناقلها الركبان، ويحكم في أقدار الشعراء، فقد كان لزيد من جماله ووسامته وطول قامته، وكريم خصاله وفعاله، وعظيم سؤدده يومذاك غنية عن السباق والتحليق بالشعر. وما كان كزهير بن أبي سلمى - من بيت حِرْفته أو صناعته الشعر، به يعلو وبه يكتسب، لا همّ له إلاَّ أن يبلغ به الشأو الأعلى من جودة المعنى والسبك، فيسهر الليالي ويسلخ الشهور يردد النظر في البيت والأبيات حتى يرضى عن قصيدته بعد سنة من التعديل والتهذيب والتحسين. ولم يكن زيد الخيل يعاني من عقدة نفسية اجتماعية معاناة عنترة العبسي من عقدة اللون ليتكىء على شعره في الدفاع عن ذاته وعن حقد في الحريَّة والحبِّ، يضارب بسيفه وشعره التقاليد ليتسامىٰ بالبطولة والكلمة معاً، وليستقطب بهما القلوب والآذان في دنيا العرب، وما كان يعيش تلك الدعة والبطالة التي اشتهر فيها امرؤ القيس إبان صباه وشبابه، يعيش للهوه وشعره، فيمده الفراغ بأسباب الإجادة والإطالة.

أجل، ما كان زيد الخيل في شيء مما كان فيه هؤلاء الشعراء، ومن ثم لم يوغل في طلب كثيره وفي تحبيره ليرتقي مراقي كبار الشعراء، وكان جل جهده فيه، كما تبين لنا، أن ينظم منه بمقدار ما تدعو إليه ظروفه ومصالح قومه، فإذا بلغ القصد مما أراد لم تبق له حاجة إلى الاستكثار منه أو إلى الاحتشاد له والتعمل الفني.

ومن ينظر في شعره يعلم أنه كان على دراية بالشعر عارفاً بجيّده، يحفظ أو يروي لكبار الشعراء، وكان يضمن أحياناً أشطاراً في أبياته أو يقتبس منهم اعترافاً ضمنياً لهم بالسبق[1]، ولكن لم يكن من أهدافه أن يمنح شعره من همه وجهده فوق الجدوى التي يؤديها الشعر له.

القيمة التاريخية لشعر زيد الخيل:

وإذا كان هذا التقويم لا يبخس المقدرة الفنية التي استثمرها زيد الخيل

(١) انظر الشعر ص ٨٢ وص ١١٥ البيت الأخير وص ١١٠ البيتان (١١ - ١٢) وص (١٣٢) البيت الأول.

بقدر، إذا كان لا يبخسها شيئاً فهو كذلك لا يعزل شعره في جانب وضيع من تاريخ الأدب. ومن يجرؤ على القول: إن إصداراً أدبياً يتصف بالسلامة والاستقامة قد يُغضّ عنه أو يُغْمض فيه عند استقراء تاريخ اللغة الأدبي والفكري واستنباط خصائصه؟.

لقد كان أدباؤنا وعلماؤنا السابقون جدّ متنبّهين لهذه القيمة التاريخية لشعر زيد الخيل، فتنافسوا في تناهبه شواهد بيّنة وأدلة ناطقة في التأريخ الجغرافي واللغوي على نطاق واسع، ونحن في الحقِّ مدينون لياقوت الحموي وللبكري بكثير من مقطوعاته وشتات أبياته نَبْتهج لها بعد فقد ديوانه.

واختيار أصحاب الحماسات له شاهدٌ ضمني على القيمة المرتضاة لمعانيه وفنه. وعناية أبي الفرج الأصفهاني به دليل على تبوّئه مكانة الحقّ في تاريخ الأدب.

إن زيد الخيل ونظراءه من شعراء ما دون القمة هم الصورة الطبيعية لتاريخ اللغة العربية، قبل الإسلام، في تطور أساليبها وصياغة المعاني والأفكار؛ ألا نرى إلى ابن قتيبة كيف استشعر هذه الحقيقة فوضع كتابه «المعاني الكبير» يفسّر فيه تراكيب اللغة ومضامينها في أشعار الشعراء القدامى بعد أن فصلت أساليب التعبير في القرن الثالث الهجري فصلاً بيّناً عما كان قديماً؟ وقد تناول ابن قتيبة العديد من أبيات زيد الخيل بالتفسير والإيضاح تناولاً يشهد أنَّ شعر زيد الخيل إرث غير مسترخصٍ من تاريخ اللغة، ورافدٌ، أياً كان حجمه، قد صبَّ في تاريخ الأدب وأسهم في إغنائه. ولا يزال علماء اللغة قادرين إذا عادوا إلى شعره أن يجدوا فيه مادة وافرة تدعم أدلتهم في المعاني الجانبية لبعض الأدوات[1]، وصوراً لبعض الأساليب الممتازة من الإيجاز مثل حذف جواب الشرط بشفاعة المعطوف عليه[2]، وربما عثروا على

---

(١) انظر مثالاً في استعمال ليبس بمعنى «إلا» وبمعنى عطف النسق في البيتين (١ - ٢)، ص ٨٧.

(٢) انظر الشعر ص ٢٥، وهو قوله:

ذاك إن ألقه أنال به الوتـ ـر وقرت به عيون الصحاب

وانظر هناك تفسير البيت.

أساليب تعبيرية في بناء الجملة لم يذكرها ذاكر، فإننا نجد زيد الخيل في البيت التالي:

فليت أبا شريحٍ جارَ عمروٍ حيا عوف وغيّبه القبورُ[1]

قد أخلى جملة الخبر ـ حيا عوف ـ من رابط يعود على اسم «ليت» على حين جعل الجملة المعطوفة على جملة الخبر ذات رابط وهو الضمير المتصل في قوله: «وغيبه القبور» فاستثنى بالرابط في جملة المعطوف عن تحقيقه في المعطوف عليه. ولا شكَّ أنَّ عالم النحو اليوم يضم هذه الصورة من التعبير وقاعدتها إلى قواعده في شروط الخبر، وبذلك يغدو شعر زيد الخيل ميدان بحث نافع لما تفردت به لغة طيّىء عن خصائص نحوية[2].

ولا يوهم ما قدمناه أنَّ أصحاب النقد والأدب لا يظفرون من شعره بغير بضاعة مزجاة، وحسبهم أن يكون شعر زيد الخيل نموذجاً حياً، لشاعر مطبوع نما وتفتح في وسط لغوي سليم، يجود بالشعر عفو القريحة استجابة لدواعٍ صميمية حية جعلت شعره صورة لذاته وقبيلته وبيئته ولأحداثها المحلية والعامة. وحسبهم إذا أكبوا على الدراسة التفصيلية أن يكتشفوا جهده بين جهود غيره من الشعراء في السمو باللهجات القبلية المحلية إلى لهجة عربية موحدة، كان العرب يتلاقون جميعاً على فهمها والتأثر بها أخذاً وعطاءً، حتى إذا أنزل القرآن خاطبهم جميعاً بلغة مصفاة من لغتهم الأدبية تلك وفاق أرقى الأساليب التي صار إليها يومئذ تطورهم الأدبي، ولنا أن نقول، من غير ادعاء ولا اعتساف، إن زيد الخيل كان من الشعراء الذين أسهموا في التطوير أو الرقي الأدبي، ولو أن أبا زيد القرشي تأمل في شعره لوجد فيه أدلة حسنة يُزوِّد بها المقدمة الموفقة لكتابه «جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام» إذ عقد فصلاً في أولها ذكر فيه أن «في القرآن مثل ما في كلام العرب من اللفظ المختلف ومجاز المعاني»[3]، وبيّن موافقة القرآن لبعض كلامهم في اللفظ

---

(١) انظر الشعر ص ١٦٨.

(٢) مثل استعمال «ذو» اسماً موصولاً. انظر الشعر ص ١٨٣.

(٣) جمهرة أشعار العرب: ١٢ ـ ٣٠.

والمعنى والصورة. وفي شعر زيد الخيل نظائر تضاهي ما أورد للشعراء المحترفين، من ذلك قوله يصف خروج الخيل من حومة الغارة:

ضربن بغمرةٍ فخرجْنَ منها ... خروج الوَدْق من خلل السحاب[1]

والله يقول: ﴿ فترى الودق يخرج من خلاله ﴾[2].

وقال زيد الخيل يصف وقع نبأ استفظعه وكان له كارهاً:

أَتَتْني لسانٌ لا أُسَرُّ بذكرها ... تصدَّع منها يذبل ومواسل[3]

والله يقول: ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ﴾[4].

ووصف زيد الخيل قوماً بالهوان فقال:

على هطّالهم منهم بيوتٌ ... كأن العنكبوت هو ابتناها[5]

والله ـ جل ذكره ـ يقول: ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإنَّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾[6].

وإنْ هذا إلا مَسْحٌ مُعجَّل لخصائص شعره، ولا يزال فيه لباحثٍ نفع لغوي وأدبي وتاريخي كثير، ولا يزال تراثنا يتوقع من رجاله دراسة مشبعة لشعر زيد الخيل في جانبي اللغة والأدب.

---

(١) انظر الشعر ص ٧١.

(٢) سورةالنور: ١٠٥.

(٣) انظر الشعر ص ١٤٢.

(٤) سورة الحشر: ٨٢.

(٥) انظر الشعر ص ١٧٤.

(٦) سورة العنكبوت: ١٠٣.

شعر زيد الخيل الطائي

ملاحـــاة

(١)

أسدى زيد الخيل يداً لزهير بن أبي سلمى، فأهداه فرساً كان لابنه كعب، فاغتاظ كعب، وقال شعراً يُعرض بزيد ليستعيد منه الفرس، فأجابه زيد:

١ ـ أفي كـلِّ عامٍ مَـأْتَمٌ تَبْعثـونَـه
على مِحْمَرٍ عَوْدٍ أُثيبَ ومـا رُضَىٰ

٢ ـ تُجِدّون خَمْشاً بعد خَمْشٍ كأنّه
على فاجعٍ من خيـرِ قَوْمِكمُ نُعَىٰ

٣ ـ تُحضِّضُ جَبَّـاراً عليَّ ورَهْـطَه
وما صِرْمتي منهم لأوَّلِ من سَعىٰ

٤ ـ تَرَعّىٰ بأَذْنـابِ الشِّعابِ ودُونهـا
رِجـالٌ يَردُّون الـظَّلومَ عن الهَـوىٰ

٥ ـ ويَرْكَبُ يومَ الرَّوْعِ فيها فوارسٌ
بَصيرونَ في طَعْنِ الأبَاهِرِ والكُلىٰ

٦ ـ فلولا زُهَيـرٌ أن أُكَـدِّرَ نِعْمـةً
لقـاذَعْتُ كَعْباً مـا بَقيتُ ومـا بَقَىٰ

٧ ـ قدِ انْبعثتْ عِرْسي بليلٍ تَلومني
وأَقْرِبْ بأحـلامِ النِّساءِ من الـرّدىٰ

٨ ـ تَقولُ أرى زَيْداً وقد كان مُقْتِراً
أراه لَعَمْـري قد تَـمَـوَّلَ واقْتَنىٰ
٩ ـ وذاك عَطاءُ اللهِ في كلِّ غـارَةٍ
مَشمِّـرةٍ يَـوْمـاً إذا قَلَّصَ الخُصىٰ

التخـريـج:

(١ ـ ٩) الخزانة (١٤٨/٤)، والنوادر لأبي زيد (ص ٨٠)، وديوان كعب بن زهير (١٢٦)، وأمالي القالي ـ عدا السابع فيهما ـ (٢٣/٣ ـ ٢٤).
(١ ـ ٦) شرح أبيات المغني: البغدادي (٧٣/٤ ـ ٧٧).
(١) اللسان (٢٦٩/١٤)، والسمط (٤٩٦)، وسيبويه وتحصيل عين الذهب للشنتمري في حاشيته (٦٥/١)، وجمهرة ابن دريد (١٤٣/٢).
(١ و٨ ـ ٩ و٦) الشعر والشعراء (٢٠٦) ـ على الترتيب المذكور.
(٥) اللسان (٢٧/٢٠)، وأمالي ابن الشجري (٢٦٨/٢).
(٦ و١ ـ ٢) كتاب الاختيارين للأخفش (٣٩) ـ على الترتيب المذكور.
(٥ و٢ ـ ٣) أدب الكاتب لابن قتيبة (٥٠٨) ـ على الترتيب المذكور.

اختـلاف الروايـات:

(١) جمهرة اللغة «على محمر منكم»، وفي اللسان والسمط وسيبويه، وشرح ديوان كعب: «ثوّبتموه»، وفي الاختيارين: «إلى كلِّ عام...».
(٢) في أمالي القالي والاختيارين: «على سيِّد»، بدل: «على فاجع».
(٣) في أمالي القالي: «يحضّض».
(٤) في أدب الكاتب: «فترعىٰ»، وفي أمـالي القالي: «تُـرَعِّي»، بدل: «تَرَعّىٰ»، وفي أدب الكاتب: «بأطراف الشعاب».
(٥) في نـوادر أبي زيد: «وتـركب»، وفي شرح ديـوان كعب: «يـردّون طعناً...».

(٦) في أمالي القالي وشرح ديوان كعب: «لَقَادَعْتَ».
(٨) في أمالي القالي والشعر والشعراء: «وقد كان مُصْرِماً...».
(٩) في شرح ديوان كعب: «قَلَص» بالتخفيف.

التعليـق واللغـة:

يتبين لنا من معطيات التخريج أنّ عدَّة هذه القصيدة المشهورة بين أصحاب الشواهد لا يزيد عن تسعة أبيات، وترتيبها الذي أوردناه هو الذي استصوبه البغدادي في الخزانة نقلاً عن أبي زيد في نوادره. وثمة اختلاف حول البيت السابع: أهو من شعر زيد أم كعب بن زهير. ويبدو أن القالي والأعلم الشنتمري ـ في شرح ديوان كعب ـ قد قطعا بنسبة هذا البيت لكعب فأسقطاه، وكذلك فعل السكري في شرحه ديوان كعب. ويشير صاحب الخزانة إلى أن هذا البيت يقتضيه السياق وإن كان قد روي في قصيدة كعب التي عرَّض بها بزيد الخيل (ديوان كعب: ١٢٦)، والحقُّ هو مطلع أبياته والشطر الأول منه:

«ألا بكرت عرسي تـوائم من لحا ....»

ويقول صاحب الخزانة: إنَّه أثبت البيت لزيد لأنَّه كتب الأبيات كما وجدها في نسختين صحيحتين من نوادر أبي زيد (الخـزانة: ٤/١٤٩). ولا شكَّ أنَّ أبا زيد آثر مقتضى السياق، لتسلسل الأبيات والمعاني، على الشبهة بأن البيت لكعب. وبين البيتين اختلاف في اللفظ غير خفي، في شطره الأول، كما أثبتناه، ولا يبعد أن يكون البيت السابع من شعر زيد، حكىٰ فيه قول زوجه على طريقة الشعراء، ليقول إنَّه يكسب أمواله وغناه بما يعرّض فيه نفسه للمخاوف والأخطار.

(١) «المأتم»: الجماعة من النساء يجتمعن لحزن أو فرح. فرس مِحْمَر: هجين صفاته أشبه بالحمير، و«أثيب»: جُعل ثواباً لنا، ومثلها: ثوّبتموه، وقال السكري في شرح ديوان كعب (١٣٢): ثوبتموه: يريد استنهضتموه

مرة بعد مرة. وما رُضَىٰ: أصلها وما رضيَ بالياء وقُلبت ألفاً على لغة لطيء إذ تقلب الياء المتحركة الأصلية وغيرها ألفاً إذا فتح ما قبلها.

(٢) تُجِدون خمشاً: لا تزالون تعاودون خمش وجوهكم. و«فاجع» سيد في موته للعشيرة فجيعة.

(٣) «جبّار»: رجل من فزارة، و«الصرمة» القطعة من الإبل.

(٤) ترَعّىٰ: أصل الفعل: تترعّىٰ أي تَرْعىٰ، والأذناب جمع ذنبَ، والشعاب جمع شِعْب: مسيل الماء ما بين جبلين، أي: ترعى بأطراف الشعاب حيث ينتهي إليها الماء ويكثر العشب، و«يصدون»: يردون ويمضون.

(٥) الأبهر واحد الأباهر: وهو عرق في المتن، والطعن فيه وفي موضع الكلية مقتل.

(٦) قادعت: دافعت، وأما قاذعت: فاحشت وشاتمت، وزهير هو ابن أبي سلمى الشاعر وكان أهداه فرس ابنه كعب.

(٧) عرسي: زوجي، وأقربْ بأحلام النساء: صيغة تعجب، والردى: الهلاك.

(٨) مقتر أو مصرم: فقير، تموّل: صار ذا مال، واقتنى: صار ذا اقتناء لما هو ذو قيمة، ومنه القنية.

(٩) مشمِّرة: يشمِّر فيها الرجال للقتال، وقلص: بالتشديد والتخفيف تقبض واجتمع؛ ويكون ذاك من الخوف والرعب والشدة.

لـوم وعتـاب

(٢)

قال الجاحظ: «عيّر زيد الخيل حاتماً الطائي في خروجه من طيء، وفي حرب الفساد، إلى بني بدر - الفزاريين - حيث يقول:

١ - وفرَّ من الحَرْبِ العَوانِ ولم يَكُنْ
بهـا حـاتمٌ طَبّـاً ولا مُتَـطبِّـبا

٢ - ورَبَّب حِصناً بعد أن كان آبياً
أُبـوَّة حِصْنٍ فـاستقـال وأَعْـتَبـا

٣ - أَقِمْ في بني بَدْرٍ ولا ما يَهُمُّنا
إذا مـا تَقَضّتْ حَرْبُنـا أن تَطَرَّبَـا»

التخـريـج:

الحيوان (١/٣٢٩)، تحقيق عبد السلام محمد هارون.

اللغـة:

(١) الحرب العوان: هي التي قوتل فيها مرة بعد مرة، والطَبّ: الحاذق الماهر، والمتطبِّب في المعجم: الآخذ بفن الطبِّ أو المزاول له، وفي البيت: «ولا متطبباً»، أي: ليس على شيء من حذق أو مهارة في تصريف الأمور، مبالغة في نفي التوفيق والصواب عنه.

(٢) وربّب: جعله له رباً، أي: سيداً ومولى، وحصن: هو حصن بن حذيفة ابن بدر سيد فزارة (انظر جمهرة أنساب العرب: ٢٥٦)، والأبوة في

البيت بمعنى: سيادة حصن عليه وحمايته له، استقال: استعفى من الحرب وتكاليفها كأنما ثقلت عليه فطلب أن يُقال منها، ولعلها «استقلَّ» أي رحل، و «أعتب»: إما من «أعتب العظم» إذا أعنت بعد الجبر فتكون في البيت بمعنى: أساء بذلك إلى قومه، لأنه انتهى إلى فساد من أمره شأن العظم جبر على فساد، وإما بمعنى: «أعتب أخاه» أرضاه، فتكون بمعنى: إن خروجه من قومه لم يغضب أحداً فإن بقاءه فيهم ورحيله عنهم سواء، ويرجح هذا المعنى البيت الذي بعده.

(٣) بنو بدر الفزاريون هم قوم حصن، و «أن تطرّب»: أن تحن وتنزع للرجوع إلينا، أو بمعنى أن تحزن على ما كان منك، وقوله: «ولا ما يهمنا... البيت»، أي: بقاؤك فيهم ورجوعك سيان. وفاعل «يهمنا» هو «أن تطربا» على أن «ما» زائدة فإن كانت موصولة فهي مبتدأ خبرها «أن تطربا» وفاعل «يهمنا» مستتر يعود على «ما».

وقائع منتصـرة

(٣)

قال ابن الشجري: قال زيد الخيل يذكر وقعة بينهم وبين بني كلاب:

«حماسة ابن الشجري: ٢٠»

١ ـ جَلَبْنا الخَيْلَ من أَجَإٍ وسَلْمى
تَخُبُّ نَـزائِعـاً خَبَبَ الـرِّكـابِ
٢ ـ جَلَبْنـا كـلَّ طِـرْفٍ أَعْـوجيٍّ
وسَلْهَبَـةٍ كـخـافيـةِ الـغُـرابِ
٣ ـ نَسـوفٍ للحزامِ بمـرفقَيْهـا
شَنـونِ الصُّلْبِ صمّـاءِ الكِعـابِ

* * *

٤ ـ كـأنّ مَحـالَهـا بـالنِّيـرِ حَـرْثٌ
أثـارتْـه بـمُـجْـمِـرَةٍ صِـلابِ
٥ ـ فلمـا أنْ بـدتْ أعـلامُ لُبْنىٰ
وكنَّ لهـا كـمُسْـتَتِـرِ الـحجـابِ

* * *

٦ ـ وبـيَّنَ نَـعْفُهُـنّ، لـهم رقـيبٌ
أَضـاعَ، ولم يَخَفْ نَعْبَ الغُـرابِ

* * *

٧ ـ عَرَضْناهُنَّ من سَمَلِ الأَداوى
فمُصْطَبِحٌ على عَجَلٍ وآبِ

* * *

٨ ـ ضَرَبْنَ بغَمْرَةٍ فخَرَجْنَ منها
خُروجَ الوَدْقِ من خَلَلِ السَّحابِ
٩ ـ فكانوا بينَ مكبولٍ أسيرٍ
ومُنْعَفِرِ المَضاحكِ في التُّرابِ
١٠ ـ ولو كانت تَكَلَّمُ أرضُ قَيْسٍ
لأَضْحَتْ تَشْتَكي لبَني كِلابِ

* * *

١١ ـ ويومَ المِلْحِ يومَ بني سليم
خَدَدْناهم بأظفارٍ وناب
١٢ ـ وآنَفُ أن أُعُدَّ على نُمَيْرٍ
وقَائِعنَا برَوْضاتِ الرُّبابِ

* * *

١٣ ـ وقد علمت بنو عبس وبَدْرٌ
ومُرّة أنني مُرّ عقابي

التعليـــق:

لم ترد هذه الأبيات بعدتها ونسقها في مرجع واحد، وهي في حماسة ابن الشجري (٧)، وفي معجم البكري (٥) أبيات، وفي معجم البلدان ومجموعة المعاني وسرح العيون لابن نباتة (٣)، ويرد في كامل المبرد البيتان، وفي لسان العرب وغيره البيت. وبين المراجع اشتراك غير قليل، واختلاف في الاختيار والترتيب كبير. ويقطع هذا الاشتراك والاختلاف بأنها من قصيدة واحدة. ورتبناها كما بدا لنا من اتساق المعاني، وفَصَلْنا عند الانتقال من مرجع إلى مرجع، والتخريج يضع كل بيتٍ في مستقره.

التخـريـــج:

(١ ـ ٣) معجم البلدان (أجأ)، وحماسة ابن الشجري (٢٠)، بالترتيب نفسه من سبعة أبيات هي في ترتيبنا: «١ ـ ٣ و٨ ـ ١٠ و١٣».

(١ ـ ٢) في الكامل للمبرد (٤٨٣)، ومجموعة المعاني (١٨٠)، يليهما بيت ثالث (ضربن بغمرة...).

(١) سرح العيون (٦٦)، والكامل (٢٨٧).

(٣) المعاني الكبير (١٥٨).

(٤ ـ ٥) معجم ما استعجم (٤/١٣٤٠)، هما الأول والثاني من خمسة أبيات هي في ترتيبنا: «٤ ـ ٥ و٧ و١١ ـ ١٢». و(٥) في معجم البلدان (لبنى) من بيتين ثانيهما سادس الأبيات في ترتيبنا.

(٦) معجم البلدان (لبنى).

(٧) معجم البكري (٤/١٣٤٠: ثالث الأبيات)، والمعاني الكبير (١٠٠).

(٨ ـ ١٠) حماسة ابن الشجري (٢٠: رابع أبياته إلى سادسها). و(٨) في لسان العرب (ودق)، ومجموعة المعاني (٨٠: ثالث ثلاثة)، وفي سرح العيون (٦٦: ثاني ثلاثة) هي في ترتيبنا «١ و٨ و١٣». و(١٠) في معجم البلدان (ملح: الأول من ثلاثة) هي في ترتيبنا «١٠ ـ ١١ و١٣».

(١١ ـ ١٢) معجم البكري (٤/١٣٤٠). و(١١) في معجم البلدان (ملح)،

وفي الأغاني (١٧/ ١٨٠). و(١٢) أيضاً في معجم البكري (١/ ٦٣٢).

(١٣) حماسة ابن الشجري (٢٠: آخر الأبيات)، ومعجم البلدان (ملح)، وسرح العيون (٦٦ - ٦٧).

اختلاف الروايات:

(١) في حماسة ابن الشجري: «تَخُبُّ عوابساً خبب الذئاب»، وفي مجموعة المعاني: «... نزائعاً خبب الذئاب» وكذلك في الكامل للمبرد (٢٨٧ و٤٨٣)، وفي سرح العيون: «... ترابعاً خبب الذئاب» ولعلها تصحيف «نزائعاً».

(٢) في حماسة ابن الشجري، وفي الكامل (٤٨٣): «كخافية العُقاب»، وفي مجموعة المعاني (١٨٠):

جلبنا كلّ أجرد أعوجيّ وسَلْهَبة كخافيةِ العُقاب

(٣) في المعاني الكبير (١٥٨) صمعاء الكعاب.

(٥) في معجم البلدان (لبنى): «وكنّ لنا».

(٧) في المعاني الكبير (١٠٠): «صبحناهنّ من سمل...».

(١١) في معجم البلدان (ملح): «جَدَدْناهم»، وفي الأغاني: «أصابتكم».

(١٣) في سرح العيون: «... أنني شغب عتابي».

اللغة:

(١) أجأ وسلمى: جبلا طيء المشهوران، والخبب: ضرب من عدو الخيل سريع، نزائعاً: منطلقة في عدوها؛ من نزع الفرس سَنَناً جرى طَلَقاً، والركاب: الإبل، وأكثر الروايات: «خبب الذئاب» وهي الأنسب إذا أريد بالتشبيه السرعة، ووجه الأولى تشبيه الخيل بالإبل في الصبر على شدة السير والإبعاد في الأرض.

(٢) طِرف: فرس نفيس، وأعوجي: أصيل نسبة إلى أعوج: فرس تُنْسب إليه الخيل الجياد، والسلهبة: الفرس الجسيمة الطويلة العظام، والخافية،

واحدة الخوافي: ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت، يريد فرساً خفيفة سريعة في مثل الغراب أو العقاب خِفة وسرعَة، وتشبيه الفرس في سرعتها بالعقاب أشهر.

(٣) «نسوف» للحزام: قَطوع (المعاني الكبير: ١٥٨) يقال نسفه أي قطعه. والكِعاب جمع كَعْب، وصمّاء وأصم: صُلْب مُصْمتٌ، وفي المعاني الكبير (صمعاء): أي لطيفة الكعب، وهي أشبه بصفة الكلب، وصماء هي الموافقة لصفة الخيل. وشَنون: فَعول من شنّ الماء على الشراب: فرّقه، وشنون الصلب: كثيرة سح العَرَق.

(٤) «النِّير»: جبل أو مجموعة جبال تسمى «النِّير»، و«محالها» لا يتجه بها للبيت معنى، والأرجح «مجالها» والضمير للخيل إلا أن تكون من «الحال» وهو التراب، ومحالها: التراب المنقلب والمثار من وقع حوافرها، ومن معاني «حال» انقلب عن حاله. وفيما ساقه ابن منظور من معان غزيرة لـ«حال» متسع، و«حرث»: ما حُرث من الأرض، و«مُجْمِرَة» بفتح الميم الثانية وكسرها: حوافر الخيل الواحد: مُجمِرٌ. وفي القاموس المحيط: حافر مجمر: صُلْب؛ يصف أثر حوافرها القوية في الأرض.

(٥) أعلام لبنى: لبنى موضعٌ جبلي، وأعلامه: جباله، والضمير في «لها» لأرض لبنى، وفي روايةٍ «لنا»، ومُسْتَتِر الحجاب: الحجاب يخفي ما وراءه.

(٦) وبيَّن نعفهنّ: بدا وظهر، والنعف: المرتفع العالي، ومناعف الجبل: شماريخه، وأخذ ناعفة القُنّة: سلك منقادها (القاموس المحيط)، و«أضاع» لغةً: كثرت ضياعه وقراه، يريد كثرة أهله، و«لم يخف نعب الغراب»، كناية عن اجتماع الشمل والإقامة، فلم يبال هذا الجبل نعيب غراب البين. وجملة «لهم رقيب» حال من «نعفهنّ» جعله كالقائم على ما حوله المراقب له وأعاد الضمير في «لهم» على العقلاء إذ أراد أهل النعف.

(٧) «عرضناهن»: عرضنا عليها الماء وصببناه لها مما بقي في الأداوى.

و «الأداوى»: الأسقية واحدتها إداوة، و «السمل»: الماء القليل، وبقيته في الحوض، وفي رواية ابن قتيبة: «صبحناهن»: سقيناهن صباحاً، وقوله: «فمصطبحٌ على عجل وآبى»: بعض الخيل شربت غير كثير وبعضها امتنعت توقعاً أن تغير فيكون عدم الشراب أعون لها على الغارة. انظر (المعاني الكبير: ٩٩ ـ ١٠٠).

(٨) الغَمْر: الماء الكثير، والغمرة منه، وهي الشدة ـ أيضاً ـ يريد حومة وغى شابكة. ضربن بمغمرة: دخلن فيها، و «الودق»: قَطْر المطر.

(٩) «المكبول»: المقيد بالكبل، و «المضاحك» ج. ضاحكة: كل سن تبدو عند الضحك أو الأربع بين الأسنان والأضراس (القاموس المحيط)، ومنعفر: سقط إلى العفر، وهو التراب، و «منعفر المضاحك في التراب»: خرّ على وجهه صريعاً ميتاً.

(١١) «المِلْح»: موضع، و «يوم المِلْح»: يوم ظفر زيد الخيل على بني سليم، وخَدَدْناهم: جعلنا في وجوههم وجسومهم جروحاً مستطيلة كالأخاديد، ورواية ياقوت: «جَدَدْناهم» ليست ببعيدة، من الجَدِّ وهو القطع، ويومَ الملح: متعلق بـ «خَدَدْناهم»، و «يوم» الثانية بدل.

(١٢) قال البكري: «الرُّباب، بضم أوله، وأكثر ما يأتي مضافاً إلى الرياض (٦٣٢/١)».

(١٣) بنو عبس وبدر ومرة: قبائل من قيس خصوم لزيد الخيل.

ثلاثة أبيات ملحقة بالقصيدة

١٤ ـ فخيْبَـةُ مَنْ يَخيبُ على غَنيٍّ
وبـاهلَة بنِ أَعْصُـر والـرِّكـابِ

١٥ ـ وأدّىٰ الغُنْمَ من أدّى قشيـراً
ومن كـانت لـه أسـرى كِـلابِ

التخـريـج:

(١٤ ـ ١٥) المعاني الكبير (٥٧٦ ـ ٥٧٧)، والشعر والشعراء (٢٠٧)، ط. دار الثقافة، بيروت.

(١٤) ديوان الحطيئة (٨٣)، والأغاني (١٧/١٨٢) ـ دار الثقافة ـ والإصابة: ترجمة (٢٩٣٥)، عن معجم الشعراء للمرزباني.

اختـلاف الروايـات:

(١٤) في ديوان الحطيئة والأغاني والإصابة: «وخيبة»، وفي الشعر والشعراء: «من يغير»، وفي الإصابة: «من يخب» ولعل «يخيب» في ديوان الحطيئة تصحيف «يخب»، وفي ديوانه وفي الأغاني: «والكلاب» بدل: «والركاب».

التعليـق:

بيتان متداولان لزيد الخيل ذكر أبو الفرج أنهما من قصيدة للشاعر قالها في الانتصار على العامريين، قال: «وقد كان زيد الخيل قال في وقعته لبني

عامر قصيدته التي يقول فيها: «وخيبة من....» (الأغاني: ١٧/١٨٢)، ولما ثأر العامريون من طيء انتصر عامر بن الطفيل من زيد الخيل بقصيدة على البحر والروي (المصدر نفسه)، ولكن أحداً ممن روى البيتين لم يقرن بهما بيتاً آخر ـ مما سبق ـ ينسبهما إلى القصيدة نسبة تقطع الشك. ويقوي نسبتهما إليها ما وجدنا في القصيدة من ذكر لإيقاع زيد بالعامريين، وهو قوله:

ولو كانت تكلم أرض قيس لأضحت تشتكي لبني كلاب

وغني بن أعصر من قيس عيلان؛ ولكن الدليل الحاسم مفقود فآثرنا أن نجعلهما من ملاحق القصيدة.

اللغة:

قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء: ومن خبيث الهجاء قول زيد الخيل، وأنشد البيتين... وقال في المعاني الكبير في معنى البيت الأول: «من غزا فخاب فإنه يكرّ على غنيّ، وباهلة فيغنم لأنهم لا يمنعون من أرادهم كالركاب ـ وهي الإبل ـ لأنها لا تمنع ولا تمتنع على من أرادها»، ونقل عن ابن الأعرابي: «من صار في يده أسير من غني وباهلة فقد خاب لقلة فدائه، والدليل على ذلك قوله:

وأدّى الغنم من أدّى قُشَيراً ومن كانت له أسرى كلاب»

(المعاني الكبير: ٥٧٦). ويرجح ابن قتيبة المعنى الأول ولكن يؤيد صحة ما ذهب إليه ابن الأعرابي من معنى البيتين أن عامر بن الطفيل جارى زيد الخيل في الحط والتحقير من سبي طيء في القصيدة التي عارضه فيها (انظر الأغاني: ١٧/١٨٣) ط. دار الثقافة.

١٦ ـ وألقىٰ نفسَه وهَوَيْنَ رَهْواً
يُنازِعْنَ الأعنّة بالكِعاب

التخريج:

المعاني الكبير (٥٤).

التعليــق:

وغير بعيد أن يكون هذا البيت، الذي انفرد بذكره ابن قتيبة، من تلك البائية، وإني لأرجحه؛ فإن فيها وصفاً للخيل، ولكن الأبيات التي رتبناها وفق تواؤُم المعاني وتناسبها لم تسمح لنا بإدراج هذا البيت في أثنائها، فإن كلاًّ من الرواة تفرد، أو شارك غيره، بأبيات مما يناسب غرضه في الاستشهاد، وهذا البيت، وإن كان في وصف الخيل، فإنّ فيه ذكر البيئة مما يشير إلى أبيات قبله تتحدث عنه. قال ابن قتيبة: وقال زيد الخيل وذكر البيئة... ثم أورد البيت، وقال: شبّه الخيل بكِعاب القمـار إذا ضُربت فوقعت متبددة». (المصدر السابق).

فــرار

(٤)

وقال يصف فرساً نجا بصاحبه:

١ ـ ونَجّاكَ يا ابنَ العامريَّـةِ سابـحٌ
شَـديـدُ النَّســا والقَصْـرِيَيْنِ نَجيبُ

٢ ـ إذا قلتَ: قد أدركتَ فابْسُطْ عِنانَه
تَـجــرَّدَ سِيــدٌ أَسْـلَمَتْــهُ غُـيــوبُ

٣ ـ فللسِّـوْطِ أُلْهـوبٌ وللسَّـاقِ دِرَّةٌ
وبـالكَفِّ مِـرِّيــخُ العِنـانِ لَعــوبُ

٤ ـ يَجُمُّ على السَّاقَيْنِ بعدَ كَـلالِه
كمــا جَمَّ جَفْـرٌ بــالكِلاب نَقيبُ

التخـريــج:

(١ ـ ٤) حماسة البحتري (٦٩).
(٤) المعاني الكبير (٥١)، والشعر والشعراء (١/٧٢).

اللغــة:

(١) المخاطب بابن العامرية ـ لعله ـ عامر بن الطفيل فقد فرَّ من زيد الخيل وكاد يوقع به. والسابح: الفرس السريع، والنسا: عرق من الورك إلى الكعب، والقصريان: الخاصرتان أو أطراف الجنب المتصلة بالأضلاع،

يصفه بالشدة والقوة والتماسك واجتماع البناء، ونجيب: أصيل، من سلالة من الخيل منجبة.

(٢) السِّيدُ من أسماء الذئب والأسد، والعرب تشبه الفرس بالذئب، والغيوب ج. غيب وهو ما اطمأن من الأرض، وهو أَدْعى لسرعة الذئب، وأسلمته غيوب: عدا في أرض مُطْمِئِنةٍ مُمْتدّة، من غَيْب إلى غَيْبٍ، كأن كل غيب يسلمه لما بعده.

(٣) للفرس أُلهوبٌ: إذا كان شديد الجري مُثيراً للغبار، وللسوط ألهوب: يلتهب الفرس جرياً إذا استحثه السوط، والدِرَّة: العدو الشديد؛ ومِرِّيخ العنان: طويله، ولعوب: ليِّن منقاد.

(٤) الكلال: التعب، ويجم على الساقين: يستعيد قوته ونشاطه بعد التعب وهو يواصل العدو على ساقيه لا يتوقف، و«الجفر»: ذهب المحقق لحماسة البحتري إلى أنه من أولاد الشاء ما عظم واستكرش وهو أول معنى للكلمة ينص عليها المعجم. وتوقف محقق المعاني الكبير عند كلمة «كلاب» بكسر الكاف أو ضمها، ولم يتطرق إلى المعنى. وهي بكسر الكاف اسم قبيلة معروفة، وبضمّها اسم ليوم أو يومين مشهورين من أيام العرب، ومعنى «نقيب» كبير وزعيم وعريف. والحق أن زيد الخيل لا يشبه فرسه بتيس كبير من المِعْزى يستجم، كما يبدو من أقرب معنى للّفظ، وإنما الجفر في البيت هي البئر، جاء في اللسان: «الجفر: البئر الواسعة... وجفر الهباءة مستنقع في بلاد غطفان» (جفر). فهو يشبه استجماع الفرس لقوته بالبئر تجمع ماءها، وهو معنى البيت والتشبيه لا محالة، وابن قتيبة، وإن لم ينص في المعاني الكبير عليه نصاً، فإنه من مضمون كلامه وهو يذكر مصدر البيت من شعر امرىء القيس:

يجم على الساقين بعد كلاله   جموم عيون الحِسْي بعد المخيَّضِ

فقال في معنى بيت امرىء القيس: «إذا غمز بالساقين وحثً بهما جمّ كما يجم البئر يجمع ماؤها» (المعاني الكبير: ٥١)؛ فيعلم بالمقارنة أن ابن قتيبة فسّر الجفر بالبئر، وعلى هذا ينبغي أن يكون معنى قوله:

«بالكلاب»: في زمن الشتاء، قال ابن منظور: «كِلاب الشتاء نجومٌ، أوَّلَه، وإنما سميت بذلك على التشبيه بالكلاب» (كلب)، وهو أولى من أن يكون اسم مكان بعينه، فإن الصورة أو التشبيه على العموم، والبئر في الشتاء أكثر جمعاً للماء لقلة النزح منها. وأما «نقيب» فهو المنقوب، أي بئر حفرت، ونقبت الأرض عنها، وتعاهدها بالنقب أدعىٰ لكثرة مائها.

في حرب الفساد

(٥)

احتربت طيء حرب الفساد فيما بينها وكان من أيامها المشهورة يوم اليحاميم دارت فيه الدائرة على قوم أوس بن حارثة بن لأم، فنزح أوس بقبيلته عن طيء ودخل في غيرها:

١ ـ تجيءُ بني لأمٍ جيادٌ كأنّها
عَصائبُ طَيْرٍ يومَ طلٍّ وحَاصِبِ

٢ ـ فإن تَنْجُ منها لا يَزَلْ بك شامةٌ
أَنَاءَ حيا بَيْنَ الشَّجا والترائب

٣ ـ وفرَّ ابنُ لأمٍ واتّقانا بظَهْره
يُرَدِّعُه بالرُّمْحِ قَيْسُ بنُ عازِبِ

٤ ـ وجاءت بَنو مَعْنٍ كأنَّ سُيوفَهم
مَصابيحُ من سُقْفٍ فليس بآيبِ

٥ ـ وما فرَّ حتَّى أَسْلَمَ ابنَ حُمارسٍ
لوَقْعةِ مَصْقولٍ من البِيضِ قاضبِ

التخريج:

(١ ـ ٥) الكامل في التاريخ (٦٣٦/١)، لابن الأثير محمد بن محمد، دار صادر، بيروت ١٩٦٥ (مصورة).

الروايات:

لم نعثر في غير «الكامل في التاريخ» على شيء من هذه الأبيات أو ما يمتُّ إليها بسبب، ولا شك أن البيت الذي أورده ابن قتيبة في صفة الخيل

(المعاني الكبير: ٦٥٦)، وابن منظور (اللسان: قفص) ليس منها على الاتفاق في الوزن والقافية، وهو قوله:

كأنَّ الرِّجالَ التَغْلِبيِّينَ حولَها   قنافِذُ قَفْصىٰ عُلِّقت بالحقائبِ

فإن تغلب لا صلة لها بيوم اليحاميم.

اللغـة:

(١) بنو لأم: هم سادة جديلة، وسيدهم يوم اليحاميم أوس بن حارثة بن لأم الطائي، و«عصائب» جمع عصابة: جماعة. والطل: المطر الدائم، والحاصب: السحاب يرمي بالبَرد والثلج، أي: تنثال عليهم خيولنا تباعاً من غير انقطاع كالطل، ترميهم بالويل، سقوط البرد والثلج، سريعة كالطير تنقض عليهم أسراباً.

(٢) شامة: وَصْمة وعار، وحيا: حياة، وفي الحديث: «يُصَبّ عليه ماء الحيا» (اللسان: حيا)، و«أَناءَ حيا»: طول الحياة وما تأخرت بك، وأظن «حيا» لا ينون على نية إعادة التاء، جاء في اللسان (أنى): «آنَيْتُ الشيءَ: أخرته، والاسم على فَعال». والشجا: ما يعترض في الحلق، وأراد موضع الاعتراض أي الحلق، والترائب: أضلاع الصدر، أي: إن فررت فقد لحقك عار الفرار مدى الحياة غُصةً لا تزول عنك.

(٣) يُردّعه: يكفه، ويردعه بالرمح: يدافعه بالرمح ويكفّه به حتى ينكص على عقبيه.

(٤) سُقْف وسُقُف: ج. سَقْف وسقيفة وليس هو في هذا الشعر سقف البيت المعروف، بل هو الذهب والفضة، قال الفراء: سُقُف: إن شئت جعلت واحدها سقيفة، وقال ابن سيده: والسقيفة كل طريقة دقيقة طويلة من الذهب ونحوها (اللسان: سقف)، يريد: سيوفهم ذات طرائق من ذهب وفضة تومض إيماضاً ولذلك شبهها بمصابيح الذهب، «فليس بآيب» الضمير المستتر اسم ليس يعود على «ابن لأم» في البيت السابق، أي: لا نجاة له منها إما الموت وإما الفرار.

(٥) القاضب: القاطع؛ أي: كان مقتل ابن حُمارس داعية لفراره.

ثــأر

(٦)

قتلت بنو عامر سيداً من بني طيء اسمه «دؤاب» فغضب زيد الخيل وأغار عليهم وهو يرى أن لا يفي بدم صاحبه إلا أن يقتل خير أسياد عامر، ملاعب الأسنة عامر بن مالك:

١ ـ لا أرىٰ أنَّ بـالقتيـلِ قتيـلاً
عـامـريّـاً يـفـي بـقَـتْـلِ دُؤَابِ

٢ ـ ليس مَنْ لاعب الأسِنَّةَ في النَّقْـ
ـعِ، وسُـمِّي مُـلاعبـاً بِـإِرابِ

٣ ـ عـامرٌ ليس عـامرُ بنُ طُفَيْـلٍ
لكنِ الـعَمْـرُ رأسُ حيٍّ كـلابِ

٤ ـ ذاك إن أَلْقَـه أنـالُ بـه الـوِتْـ
ـرَ وقـرّت بـه عيـون الصِّحـاب

٥ ـ أو يَفُتْني فقـد سبقْتُ بـوتـرٍ
مَـذْحِجيٍّ، وجَـدُّ قـوميَ كـابي

٦ ـ قـد تقنَّصْتُ للضِّبـاب رجـالاً
وتـكـرّمْتُ عَـنْ دِمـاء الضِّبـابِ

٧ ـ وَأَصَبْنَـا مِن الـوحيـدِ رجـالاً
ونُفَيْـلٍ فمـا أُسـاغـوا شَـرابي

التخـريـج:

الأغاني (١٧/١٨٥).

اللغـة:

(١) دؤاب بن عبد الله: رجل من طيء شريف رئيس في حيِّه، زار صهراً له في هوازن، فقتل. عامرياً: نسبة إلى بني عامر بن صعصعة.

(٢) ملاعب الأسنة هو عامر بن مالك أبو براء، فارس قومه وسيدهم غير مدافع، سمي بذلك لأنه قتل رجلين معاً بالرمح هذا بسنانه وذاك بزجّه. و«ليس» استثناء من البيت الأول بمعنى «إلا»، والنقع: غبار المعركة. و«أِراب»: هي بكسر الهمزة، ولم أجد فتحاً ولا ضماً، وفي اللسان: «إراب: اسم موضع وهو ماء لبني رياح بن يربوع»، وهو في البيت معنى فيه بعد غير قليل، يريد بقوله: «إنما سمي ملاعباً بإراب» أي: سمي بذلك بحق واستحقاق بشجاعته وذكائه وحذقه. يقال: أَرِب فلان إذا صار أريباً فطناً ذا دراية، وفي الصحاح واللسان: «المؤاربة: المداهاة وفلان يؤارب صاحبه إذا داهاه»، و«مؤاربـة» مفاعلة من «آرب»، والمصدر القياسي من «فاعل: مُفاعلة وفِعالاً» وعلى ذلك «إراب» مصدر آرب يؤارب.

(٣ ـ ٥) عامر: هو عامر بن مالك، خبر لمحذوف على الاستئناف، وهو العَمْر في الشطر الثاني: و«ليس» بمعنى «لا» النسقية: حرف عطف. و«رأسُ كلاب» بدل من «العَمْر»، الوِتر: الثأر، «مذحجي»: نسبة إلى حي «مذحج»، وهو مالك بن أدد... بن سبأ:... بن قحطان، وإليه انتماء طيء. وجملة «أنال به الوتر» حالية، وجواب الشرط محذوف، تقديره: قرت عيني. وجملة: «وقرت...» معطوفة على المحذوفة. و«جَدّ قومي كابي»، الجَدّ: الحظ، ويريد به: المجد والعز، ومعناه: وقومي في عز وعلو وظهور. و«كابي» من كبت النار: علاها الرماد وتحتها الجمر، وفلان كابي الرماد أي عظيمه صاحب طعام كثير، وكبا الفرس

إذا ربا من فَرَق أو عدوٍ (اللسان) ـ أي أن مجد قومه كثير منتشر. وأما «كابي» من كبا يكبو إذا عثر وسقط على وجهه فلا يستقيم له معنى إلاَّ أن تكون الرواية: «وجدّ قومكَ كابي» على الخطاب لعامر، وهي وإن كانت غير بعيدة الاحتمال، ولكن لا نعرف رواية للأبيات غير رواية الأغاني.

(٦ ـ ٧) الضِّباب: بطون من كلاب بن ربيعة من هوازن، وتقنَّصْتُ: من القنص وهو الصيد، و «الوحيد ونفيل»: بطون من هوازن، وقوله: «فما أساغوا شرابي» كناية أنهم لقوا منه شدةً وغلظة وإذلالاً دون الأسر والقتل؛ وساغ له الشراب: جرى في مجاريه وطاب له.

مـن أيامنـا

(٧)

وقال زيد يفتخر بكثرة غاراته التي بلغت أقاصي نجد:

١ ـ صَبَحْنَ الخَيْـلُ مُـرَّةَ مُسْنِفـات
بـذي أُرُلٍ، وحـيَّ بنـي بِـجـادِ

٢ ـ ويَـوْماً بـالبِـطاحِ عَـرِكْن قَيْسـاً
غَـداتَـئِـذٍ بـأرمـاحٍ شِـدادِ

٣ ـ ويـومـاً بـاليمـامـةِ قـد ذَبَحْنـا
حنيفـةَ مثـلَ تَـذْبـاحِ النِّقـادِ

التخـريـج:

(١ ـ ٣) معجم ما استعجم (١/١٣٩ ـ ١٤٠).

اللغـة:

(١) «مُسْنِفات»: مُغيرات مُسْرعات؛ فـرس مُسْنِفة: تتقـدّم الخيل، و«ذو أُرُلٍ»: واد في بلاد بني مرة وهم من غطفان، و«بنو بجاد» حي من عبس، وصبحنا القوم: أغرنا عليهم في الصباح، وصبح فلاناً: سقاه صبوحه وهو شراب الصباح. و«صبحن الخيلُ» بالرفع، على لغة من يجعل في الفعل علامة التثنية والجمع، فاعلاً لـ«صبحن».

ويذكر ابن هشام أنها لغة بعض طيّ (انظر أوضح المسالك: ١/٣٤٥) ومعناها: أغارت الخيل في الصباح، ولعل الرواية: «صبحنا» أي: جعلنا صبوح خيولنا غارتنا على بني مرة، على تضمين «صبح»

معنى «سقى» لتنصب المفعولين - «الخيل» و«مرة» - وقد وجدنا زيد الخيل ينصب المفعولين بهذا الفعل فيما حققناه له من شعر، قال:

صَبَحْتُ حيًّ بني الجــرّار داهيــةً   مـا إن لتغلب بعـد اليــوم جـرّار

وعدّى «صبح» إلى ثاني المفعولين بالحرف في قوله:

حتى صبحنـاهم بهـا غـدوة   نـقتلهم قسْـراً عـلى الضُمَّـر

(٢) «قيس»: قبائل كثيرة من مضر، «البطاح» مكان، و«عـركن قيساً»: اشتددن عليهم في القتال أيما شدة.

(٢) «اليمامة»: حاضرة نجد، و«بنو حنيفة»: أهل اليمامة، و«النِّقاد»: جنس من الغنم خسيس.

سائل بني نبهان عنا

(٨)

قال في غزوة له على فزارة كان فيها عظيم البلاء، وجعل له قومه يومئذ من الغنيمة المرباع، فقال في غزوته تلك:

١ ـ ألا وَدّعتْ جيـرانَها أمُّ أسعـدا
وضَنَّتْ علىٰ ذي حاجةٍ أن يُـزَوَّدا

٢ ـ وأَبْغَضُ أَخْـلاَقِ النّسـاءِ أَشَـدُّه
إلـيّ فـلا تُـولِنّ أَهْـلي تَشَـدُّدا

٣ ـ وسَائل بني نَبْهَانَ عنا، وعندهم
بـلاءٌ كحدِّ السيْفِ إذ قَـطـعَ اليَدا

٤ ـ دَعَوْا مالكـاً ثم اتّصلْنا بمـالكٍ
وكـان ذَكـا مصبـاحُـه فتَـوقّـدا

٥ ـ وبِشْرَ بنَ عَمْروٍ قد تركْنا مُجَنْدَلاً
يَنـوءُ بخـطّارٍ هنـاكَ، ومَعْـبَـدا

٦ ـ تَمـطَّتْ به قَـوْداءُ ذاتُ عُلالـةٍ
إذا الصِلْدِمُ الخِنْـذِيـذُ أعْيـا وبَلَّدَا

٧ ـ لَقيناهم تُسْتَنْقَذُ الخَيْـلُ كالقنـا
ويُسْتَلبـونَ السَّمْهـريَّ المُقصَّـدا

٨ ـ فيا رُبَّ قِدْرٍ قد كَفَأْنا وجَفْنَةٍ
بذي الرَّمْثِ إذ يَدْعون مَثْنىً ومَوْحدا

٩ ـ على أنّني أَتْوىٰ سِناني وصَعْدَتي
ـ بساقَيْنِ ـ زَيْداً أن يَبوءَ ومَعْبدا

التخريج:

الأغاني (١٧/١٩٢ ـ ١٩٣).

اللغة:

بنو نبهان: قوم الشاعر وهم بطن كبير من طيء. «مالك»: أب من آباء طيء، ومعنى «دعوا مالكاً ثم اتصلنا بمالك»: انتموا عند النزال إلى مالك فانتمينا مثلهم إليه لأننا أبناء سلف واحد. و «ذكا مصباحه»: أضاء، يريد: من ينتسب إلى مالك ينتسب إلى بيت رفيع مشهور كالمصباح المتوقد، و «مجندلاً»: مقتولاً مصروعاً. ناء بثقله: سقط ولم ينهض به، و «الخطّار»: الرمح أي: شُكّ برمح أرداه قتيلاً، و «معبداً»: معطوف على «بشر»، و «تمطت به»: أسرعت به سيراً، و «القوداء»: الطويلة العنق والظهر من الخيل، و «ذات علالة»: تكتفي بالقليل من الشرب لتكون أنشط عدواً، و «الصِلْدِم»: من الخيل القوي الشديد الحافر، و «الخنذيذ»: الضخم القوي، و «أعيا»: أدركه الإعياء وهو غاية التعب والإجهاد، و «بلّد»: فتر وسكن وقطعه الإعياء عن الجري، وقوله «تمطت به»: يشعر بأنها نجت براكبها، وهو معنى لا يوافق قوله، «قد تركنا مجندلاً»: ولعل ثمة بيتاً بين البيتين لم يروه أبو الفرج يذكر الشاعر فيه أن فارساً من فرسان عدوه أفلت منه هرباً. وكان من الراجح أن يكون الضمير المتصل في «تمطت به» عائداً على «معبداً» وهو منصوب على الاشتغال بـ «تمطت» لولا أن البيت التاسع يؤكد الشاعر فيه أنه قتل «معبداً» برمحه ولذلك آثرنا عطفه على «بشر».

«والسمهري المُقَصّد»: الرمح المسوّى المستقيم، و«لقيناهم كالقنا»: تلاحمنا وتشابكنا تشابك القنا الشواجر، و«تُسْتَنْقَذ الخيل ويستلبون السمهري»: بالمبني للمفعول: نغنم خيولهم ورماحهم. وكفأ القدر والجفنة: قلبها يلقي ما فيها، وذو الرمث: موضع، و«أتوى»: أهلك وفاعله «سناني» ومفعوله «زيداً»، و«أن يبوء»: أن يرجع. أي: أن يرجع سالماً إلى أهله، وقوله «بساقين»: لعله اسم موضع، وفي اللسان (سوق): «ساقان» اسم موضع، فإن صح كان الشاعر أعرب العلم إعراب المثنى، وهو الأشهر.

عامر بن الطفيل أسيراً

(٩)

روى أبو الفرج الأصفهاني أن زيد الخيل كان يوماً في فزارة يطلب حقاً له عندهم، فأغار عامر بن الطفيل على فزارة وسبى وغنم، فحمي لهم زيد فاتبع عامراً، فأسره، وجزّ ناصيته وأطلقه، ورد على فزارة سبيها، وقال:

١ ـ إنَّـا لنُكْثِـرُ في قَيْسٍ وَقـائِعنَـا
وفي تميمٍ وهـذا الحيِّ من أَسَـدِ

٢ ـ وعامرُ بنُ طُفَيلٍ قد نَحَوْتُ له
صـدْرَ القناةِ بمـاضي الحدِّ مُـطَّرِدِ

٣ ـ لمـا أَحسَّ بأنَّ الـوَرْدَ مُدْرِكـهُ
وصـارمـاً وربيطَ الجـأْشِ ذا لُبَـدِ

٤ ـ نادى إليّ بسِلْمٍ بعدما أخذت
منــه المنيَّـةُ بــالحَيْــزوم واللُّغُــدِ

٥ ـ ولـو تصبَّـر لي حتى أُخـالـطَه
أَسْعـرتـه طعنــةً تكتـارُ بــالـزَّبَــد

التخـريــج:
الأغاني (١٧/١٨٨ ـ ١٩٠)، ولباب الآداب لأسامة بن منقذ (٢١٩).

اختــلاف الروايــات:
(٣) في لباب الآداب: «لما تحسّبَ أن...».
(٥) في لباب الآداب: «أشعرته طعنة تكتَنّ...»

اللغــة:

(١ ـ ٢) قيس: قبائل مضرية عدنانية كثيرة، وتميم وأسد منها. وعامر بن الطفيل فارس بني عامر المشهور، وقد نافر علقمة بن علاثة على الشرف في قومه. مطرد: مستو، وماضي الحد: نافذ، وعامر يجوز فيه الرفع على الابتداء والنصب على الاشتغال.

(٣ ـ ٥) الوَرْد: فرس لزيد الخيل، وربيط الجأش: رابط الجأش: يربط نفسه عن الفرار، وذو لُبَد: الأسد، والحيزوم: الصدر، واللُّغْدُ: جمع لغدود: لحمتـان بين الحنك وصفحة العنق، كأنها ذقن ثانية لذي السمن، تكتار بالزبد: يعلوها الزبد، زبد الدم، كما تعلو العمامة الرأس. وفي اللسان (كور): «اكتار الرجل اكتياراً: إذا تعمم». رواية «تكتن» قـريبة في المعنى والصورة، أي: يسترها الزبد يقال: اكتنت المرأة: غطّت وجهها وسترته حياء، (اللسان: كنن)، وأسعرته طعنةً: أحرقته بطعنـة، في الصحاح: «وسعرناهم بالنبل، أي: أحرقناهم وأمضضناهم».

لقد علمت نبهان

(١٠)

أغار زيد الخيل ببعض من طيّء علـى أقوام من غطفان فغنم، وفي طريق العودة قسمت الغنائم، فأعطاه قوم حق الرئاسة، ونفسه عليه آخرون، ففارقهم وفارقوه، فاهتبلت غطفان ذلك وأغارت على الذين فارقوه واستخلصوا منهم أموالهم فاستصرخوا زيد الخيل، وكان قريباً منهم، فأغار على غطفان واستعاد لأصحابه نهابهم فأقروا له بحق الرئاسة، وفي هذا قال هذه الأبيات:

١ ـ كررتُ على أبطال سَعْدٍ ومالكٍ
ومثلي دعـا الداعي إذا هـو نَـدّدا

٢ ـ فلأياً كَررْتُ الوَرْدَ حتى رأيتُهم
يُكَبُّون في الصحراءِ مَثْنىً ومَوْحَدا

٣ ـ وحتى نَبَذْتُم بالصعيدِ رماحَكم
وقـد ظهرتْ دعـوى زُنَيْمٍ وأَسْعدا

٤ ـ فمـا زلتُ أرميهم بغُرَّةِ وَجْهِـه
وبـالسَّيْفِ حتى كَـلَّ تحتي وبَلَّدا

٥ ـ إذا شَكَّ أطرافُ العوالي لبَانَـه
أُقـدِّمه حتَّى يـرى المـوتَ أسـودا

٦ ـ عُلالتُها بالأمس ما قـد علمتمُ
وعَـلُّ الجـواري بيننـا أن تُسَهَّـدا

٧ ـ لقد علمت نبهانُ أنّي حَمَيْتُها
وأنّي منعتُ السَّبْيَ أن يَتبدّدا
٨ ـ عَشيّةَ غادرتُ ابنَ ضبٍّ كأنّما
هوى من عُقابٍ من شماريخِ صِنْدِدا
٩ ـ بذي شُطَبٍ، أُغشي الكتيبةَ سَلْهباً
أَقبَّ كسِرْحانِ الظلامِ مُعَوَّدا

التخريج:

(١ ـ ٩) الأغاني: ١٧/١٨٧ ـ ١٨٨، ط. (دار الثقافة، بيروت).

في حماسة ابن الشجري (ص ١٩) منها خمسة أبيات على اختلاف في الترتيب، وهي من (١ ـ ٥)، ذات الأرقام التالية برواية الأصفهاني (٧/٣/٩/ ٥/٤).

(٤) في «عقد الأجياد في الصافنات الجياد (ص ٤٥)»، وفي تاج العروس (ورد).

اختلاف الروايات:

(٣) في حماسة ابن الشجري:
غداة نبذتم بالصعيد رماحكم وطبقتم البيداء مَثنَى ومَوْحدا
(٤) في رواية ابن الشجري: (حتى كرّ تحتي مجهداً)، و«كر» غير موافق لما بعده. وفي تاج العروس، وعقد الأجياد:
وما زلت أرميهم بشكة فارسٍ وبالورد حتى أحرقوه وبلّدا
وفي عقد الأجياد: «أحرثوه».

اللغة:

(١) سعد ومالك من قبائل فزارة وغطفان، (انظر جمهرة أنساب العرب: ٢٥٥)، ودعا الداعي: نادى الصريخ، و«ندّد» في البيت بمعنى استغاث

واستصرخ حُماته ملء صوته، فإن من معاني «التنادّ»: التنافر، وأما ندّد به فمعناه صرّح بعيوبه وأسمعه القبيح.

(٢) «الوَرْد»: فرس لزيد الخيل، «فلأياً»: ما سمعت الدعاء حتى أجبت: ما أبطأت أبداً، و «لأياً كررت الورد»: ما كان من الأمر هو ما بين سماعي دعائهم وكرّي الورد. و «يكبّون»: يُصَرّعون.

(٣) «نبذتم»: طرحتم، و «الصعيد»: الأرض، وما ارتفعَ منها.

(٤) الضمير في «بغرّة وجهه» يعود إلى «الورد» في البيت (٢)، والغرة: بياض في جبهة الفرس، يريد شقّ صفوفهم وجندلهم بفرسه وسيفه، و «كلّ»: أعيا وخارت منه القوى، و «بلّد»: سكن وجمَد ولم يتجه لشيء. وفي رواية عقد الأجياد: «أحرثوه» جعلت منه الجراح كالأرض المحروثة، و «أحرقوه» في شبه المعنى: أكثرت رماحهم فيه الطعن والدماء حتى صار كأنما أحـرق ناراً أو الدم يبس عليه واسودّ اسوداد المحترق. و«شكة فارس»: سلاحه، ورواية «التاج» و «عقد الأجياد» للبيت خيرٌ اتساقاً لفظاً ومعنىً.

(٥) «اللبان»: الصدر، و «أقدّمه»: أدفعه وأستحثه وأتقدم به في حـومـة الوغى، و «حتى يرى الموت أسودا»: حتى لا يرى شيئاً غير السّواد حالَ من بلغ الموت.

(٦) «علالتها»: الضمير يعود إلى الخيل أو الفرس، والبيت في موضعه يشعر بالانقطاع عما قبله وما بعده، والعُلالة من «علله بطعام أو غيره» شغله به. ومن عادة العرب أن يؤثروا الخيل على العيال بالماء والغذاء، والعلّ الشرب بعد الشرب، والعلالة والعلّ في البيت بمعنى، والجواري جمع جارية البنت الصغيرة، و «أن تُسَهّدا» من «السُّهْد»: الأرق وتسهيدها ألا تستطيع النوم من الجوع فتُعَلّل بالكلام حتى تنام، والمصدر المؤول خبر المبتدأ «علّ».

(٧) نبهان: قبيلة زيد الخيل، السبي: النهاب، يريد ما استعاده لطيّء من سبيهم من فزارة وغطفان بعد أن باغتوهم في العودة واستنقذوا مـا بأيديهم.

(٨) ابن ضب: رئيس غطفان وفزارة يوم أغار عليهم زيد الخيل، والعقاب: صخرة نائتة من عُرْض جبل، وشماريخ: ج. شِمْراخ: رأس الجبل، وصِنْدِد: اسم جبل.

(٩) «ذو شطب»: السيف في متنه طرائق، وقوله: «بذي شطب»: متعلق بالبيت (٧) بالفعل: «منعت»، وجملة: «أُغشي الكتيبة...» حالية، والسلهب من الخيل الجسيم الطويل العظام، وأقبّ: ضامر البطن، والسِّرْحان: الذئب، مُعوَّداً: عوّده صاحبه أن يغشى الحروب.

ديار طيّء

(١١)

كان زيد الخيل كبير الاعتزاز بمنازل قومه ومرابعهم، ويراها حقاً للطائيين على اختلاف بطونهم، وقال هذه الأبيات يهيب برهط حاتم الطائي أن يتبؤوا حيث شاؤوا من مسارح القبيلة:

١ ـ مَنَعْنا بينَ رَشْقَ إلى المطالي
بحيٍّ، ذي مُكابرةٍ، عَنودِ
٢ ـ نَزَلْنا بينَ فَيْدٍ والخِلافى
بحيٍّ، ذي مُداراَةٍ، شديدِ
٣ ـ وحَلَّت سِنبِسٌ طَلْحَ العيَارى
وقد رَغبت بنصرِ بني لَبيد

* * *

٤ ـ فسيري، يا عديُّ، ولا تُراعي
فحلّي بين كَرْمَلَ فالوَحيدِ
٥ ـ إلى جِزْعِ الدّواهي، ذاك منكم
مَغانٍ، فالخمائلِ فالصّعيدِ
٦ ـ وسيري إذ أردتِ إلى سُمَيْرٍ
فعودي بالسَّوائلِ والعُهودِ
٧ ـ وحُلّوا حيث وَرّثكم عديٌّ
مَراد الخَيْلِ من ثَمْدِ الوُرودِ

التخريج:

(١ - ٣) في معجم ما استعجم (١٢٣٨/٤ - ١٢٣٩)، ومعجم البلدان (فَتْك).

(١) في معجم البلدان (شَرْق).

(٢) في معجم ما استعجم (٥٠٧/٢)، ومعجم البلدان (الخِلافىٰ).

(٣) في معجم البلدان (الغُبارىٰ).

(٤ - ٧) في معجم البلدان (سُمَيْر).

(٤) في معجم ما استعجم (١١٢٥/٤ - ١١٢٦).

(٥) في معجم البلدان (جزع الدّواهي).

اختلاف الروايات:

(١) في رواية البكري (رَشْق)، وياقوت (شَرْق).

(٢) في رواية البكري (فَيْد)، وياقوت (فَتْك).

(٣) في رواية البكري (طلح القَيارىٰ)، وياقوت (طلح الغُبارىٰ).

(٤) في رواية البكري (والوحيد).

التعليق:

(٤ - ٧) ليس لدينا دليل مادي تَثْبُتُ أنَّها من القصيدة التي منها الأبيات الثلاثة الأولى؛ ولذلك فصلنا بين المجموعتين احتراساً، وليس التقاؤهما في البحر والقافية هو الدافع وحده للموالاة بينهما ولكنّها وحدة الموضوع: ففي الأبيات الثلاثة الأولى: يفخر بما حَمَت طيّء من الأرض الواسعة، وفي الثانية: يُشجّع رهط حاتم الطائي إحدى قبائل طيّء إلى الانطلاق في الأرض، التي رادها الآباء والأجداد، من غير ما تردد ولا خوف.

اللغة:

(١) «المَطالي» على وزن مَفاعِل، ماء أو روضات واحدتها مَطْلىٰ أو مسيل سهل، (معجم ما استعجم) ورشق موضع، ذو مكابرة: ذو قِدَم وشرف يعلو به على غيره.

(٢) تدارأ القوم: تدافعوا، وحي ذو مدارأة: ذو ثبات في القتال ودفاع وبلاء. والخِلافىٰ: بطن من الأرض تطيف به الجبال قبل فيد، وفَيْد من بلاد طيء وهي في طريق الحاج العراقي، ومن بلاد زيد الخيل ـ رضي الله عنه ـ وأقطعه رسول الله ـ ﷺ ـ إيّاها، وهي بشرقيّ سلمىٰ أحد جبلي طيّء.

(٣) طلح العيارى: مكان بين جبلين لبني سِنْبس، وهم من طيء وكذلك بنو لبيد، وقال البكري: «العيارىٰ»: أرض للبيد بن سنبس (٤/١٢٣٩)، وسِنبس هو سنبس بن معاوية بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء (انظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب: ٤٠٠ ـ ٤٠٢).

(٤) عديّ: عدي بن حاتم الطائي يريد رهطه وقبيلته، هكذا قال البكري (٤/١١٢٦)، ولعل: الأرجح أن القبيلة مسمّاة باسم أحد آباء حاتم لا باسم الحفيد بدلالة البيت السابع، وهم من ولد عمرو بن الغوث بن طيء (جمهرة الأنساب: ٤٠١)، لا تراعي: لا تخافي ولا تبالي. كَرْمَل ويُثنّى ـ الكرملان ـ وهو ماء لرهط حاتم، والوصيد: موضع.

(٥) جزع الدواهي والخمائل والصعيد: مواضع في أرض طيء؛ مغانٍ: جمع مغنى من غني بالمكان: إذا أقام فيه.

(٦) سُمَيْر: جبل في ديار طيء (معجم البلدان)، والعهود: الذِّمم جمع عهد، والسوائل بمعناها، جمع سائلة، وهو ما يسأل به المرء مما يُعظَّم رعايةً لحرمته، قال تعالى: ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام. . . ﴾ [النساء: ١]، أي: اذهبي وعودي بمالَكِ عندنا من ذمام وحقوق.

(٧) عدي (انظر البيت ٤)، مراد الخيل ومُسْترادها موضع ريادها، والرياد الذهاب والمجيء في الموضع، وطلب المرعىٰ. من ثَمْد الورود: من ماء قليل، والثَّمْد والثَّمَد والثِّماد: ماء قليل لا مادة له (القاموس المحيط) ولا مدد.

جروة لا تباع

(١٢)

ولعل هذه الأبيات في الفرس الذي اغتنمه بنو الصيداء من زيد الخيل وأبوا أن يردوه، وربّما ساموه ـ كما يستفاد من الشعر ـ أن يرسلوا له بثمنها فأبى[١]:

١ ـ فمن يَكُ سائلاً عنّي فإنّي
وجِرْوَةَ لا تُباعُ ولا تُعارُ

٢ ـ مُقَرَّبةُ السَّناءِ ولا تَراها
وراءَ الحَسِّ تَتْبَعُها المِهارُ

٣ ـ ألا أَبْلِغْ بني الصَيْداءِ عنِّي
عَلانيةً وما يُغْني السِّرارُ

٤ ـ قَتَلْتُ سَراتَكم وتَرَكْتُ منكم
خُشاراً قلّ ما نَفَعَ الخُشارُ

التخريج:

الحماسة البصرية (١/٧٧).

الروايات:

نسب أبو زيد القرشي البيت الأول إلى شداد بن معاوية العبسي أبي عنترة (جمهرة أشعار العرب: ١٣)، وفيه: «لا ترود» مكان «لا تباع».

---

(١) انظر الشعر الآتي الذي أوّله ص (٨٩):

يا بني الصيداء ردوا فرسي   إنّما يُفْعل هذا بالذليل

وقال صاحب الحماسة البصرية بعد أن نسب الأبيات الأربعة لشداد بن معاوية: «وتروى لزيد الخيل». قلت: وكان لزيد الخيل أفراس كثيرة منها ما ذكر اسمه ومنه ما لم يذكر، أمّا وقائعه في بني الصيداء فهي عديدة، وهذا ما يحسّن عزو الأبيات له.

اللغـة:

(١ - ٢) «جِرْوة»: اسم فرس من أفراسه، و«السناء»: الرفعة، و«مقربة السناء»: مكرَّمة عندنا، نرفع من منزلتها بتقريبها منّا ونحميها من أن يقرعها فحل لئيم، قال الفيروزأبادي: «المُقْرَبَة: تُدْنى وتقرب لئلا يقرعها فحل لئيم» (قرب)، والحس: البَرْد يُحرق الكلأ، ويراد به في البيت: الكلأ الذي احترق بالبرد. يريد: تُؤْثَر بالغذاء هي ومهارها وتُكْرم عن تتبع الكلأ المُحْرق بالبرد، في سنوات القحط.

(٣ - ٤) «سراتكم»: أشرافكم، و«الخُشار»: والخُشارة: الرديء من كل شيء، وسَفِلةُ الناس؛ يقول: لم يبق فيكم، بعد قتلي أسيادكم وأشرافكم، من فيه شيء من غَناء، وبنو الصيداء: ذكرنا في غير هذا الموضع أنّهم من بني أسد.

فـي المدينـة

(١٣)

قال يذكر إقامته في المدينة المنورة لما وفد على النبيِّ ﷺ:

١ ـ أُنيخَتْ بـآجامِ المـدينةِ أَرْبعـاً
وعَشْـراً يُغَنّي فوقَهـا الليـلَ طـائـرُ

٢ ـ فلمَّا قضى أصحابُها كلَّ بُغْيـةٍ
وخَطَّ كتـاباً في الصحيفـةِ سـاطـرُ

٣ ـ شَـدَدْتُ عليها رَحْلَهـا وشَليلَها
من الدَّرْسِ والشَّعْراءِ والبَطْنُ ضامرُ

التخـريـج:

(١ ـ ٣) الـروض الأُنف للسـهيـلي (٢/٣٤٢)، ومعـجم البلدان (أطم الأضبط).

(١ و٣) الأغاني ١٧/١٧٥ ـ ١٧٦.

اختـلاف الـروايـات:

(١) في معجم البلدان والأغاني: «بآطام المدينة...»، وفي الأغاني: «... وخمساً يُغنّي».

(٢) في معجم البلدان: «.. أصحابنا كلَّ حاجـة ... في المدينة...».

التعليـق واللغـة:

(١ ـ ٣) الآطام والآجام: جمع أُطْم وأُجْم: الحصن بني من الحجارة.

«وخط كتاباً في الصحيفة ساطر»: إلماع إلى الكتاب الذي كتبه له

رسول الله ﷺ على «فيد» وقرى غيرها (انظر السهيلي: ٢/٣٤٢)، و «الشليل»: الكساء يوضع تحت الرحل أو الحِلْس يكون على عجز البعير (اللسان: شلل)، و «الدرس»: الجرب، و «الشعراء»: ذباب ـ كما قال السهيلي (٢/٣٤٢) ـ وفي الصحاح: «الدَّرْس: جرب قليل يبقى في البعير» (درس)، وفي اللسان: «الشَّعْراء: ذباب تلسع الإبل في مراق الضلوع وما حولها وما تحت الذنب والبطن والإبطين، وليس يتقونها بشيء إذا كان ذلك إلاَّ بالقطران» (شعر). وفي اللسان (درس): الدَّرس: الثوب الخَلَق، وفي (شعر) أيضاً: الشَّعْراء: الفَرْوة، سميت بذلك لكون الشعر عليها؛ حكي ذلك عن ثعلب». ويبدو لي أن معنى «من» ـ في قوله: من الدرس والشعراء ـ بيانية وأن معنى «الدَّرْس والشعراء» في البيت الكساء الخَلَق وذو الشعر، فهو الموافق لقوله: «شددْتُ عليها رحلها وشليلها»، ومن غير الراجح أن تكون «من» سببية، فإن الرّحْل وما تحته يُشدُّ على الناقة للرحيل لا لوقايتها من الجرب والذباب، وهو لا يحميها من الذباب كما اتضح من كلام ابن منظور.

أخـو الحـرب

(١٤)

وقال زيد الخيل يفتخر:

١ ـ رَأَتْني كأَشْلاءِ اللِّجامِ ولن تَرى
أخا الحربِ إلّا ساهمَ الوجْهِ أَغْبرا

٢ ـ أَخو الحرب إن عضّتْ به الحرب عضَّها
وإن شَمَّرت عن ساقِها الحربُ شمّرا

٣ ـ فلا تَسْأليني واسْألي: أيُّ فارسٍ
إذا الخيلُ جالت في قناً قد تكسَّرا

٤ ـ وإنِّي ليَغْشىٰ أَبْعدُ الحيِّ جَفْنتي
إذا وَرَقُ الطَلْحِ الطِّوالِ تَحسَّرا

التخريـج:

(١ ـ ٤) حماسة ابن الشجري (١٤).

(١ ـ ٢) الحماسة البصرية (١/٧٧)، وحماسة البحتري (٣٨).

اختلاف الروايات:

(١) في الحماسة البصرية: «. . . إلاَّ أشعث الليل أغبرا».

اللغة والتعليق:

ـ نسب ابن الشجري الأبيات إلى حاتم طيء، والحقُّ أنَّ البيت الرابع يشي بروحه، وقلّ أن نعثر فيما لدينا من شعر زيد الخيل من الفخر بالكرم

والقرى. ولكنَّ البحتري وصاحب الحماسة البصرية ينسبان الأول والثاني إلى زيد الخيل، ولعل في الأبيات نوعاً من التداخل بين شعر الرجلين.

(١ ـ ٢) «أشلاء اللجام»: سيوره التي تقادمت ودقَّ حديدُها. «وساهم الوجه»: عابسه، ورواية الحماسة البصرية: «أشعث الليل»: لا يستقيم لها توجيه.

(١ ـ ٤) غشي المكان: أتاه، و«تحسّر الورق»: سقط أو أتت عليه الإبل، وتَعرّي شجر الطلح من أوراقه: كناية عن الجدب والقحط.

أبو مكنف قائداً

(١٥)

قال في وقعة بين طيء وبني عامر يذكر فرار فارسيهم عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة:

١ ـ بَني عامرٍ هَلْ تَعْرِفونَ إذَا غَدَا
أبـو مُكْنِفٍ قد شَـدَّ عَقْدَ الـدَّوابرِ

٢ ـ بجَيْشٍ تَظلُّ البُلْقُ في حَجَراتِه
تَـرَى الأُكْمَ فيه سُجَّـداً للحَـوَافـرِ

٣ ـ وجَمْعٍ كمثْلِ اللَّيْلِ مُرتجِسِ الوَغىٰ
كثيـرٍ تـواليـه سَـريـعِ البـوادرِ

٤ ـ أبَتْ عادةٌ للوَرْد أن يَكْره الوغىٰ
وحاجة رُمْحي في نُمَيْرِ بنِ عامـرِ

* * *

٥ ـ ونحن هَـزَمْنا جَمْعَكم بمتـالعٍ
ففاءَ، ولم يَسْلَمْ، على شرٍّ طـائر

٦ ـ وكنتُ إذا أَلْقىٰ غَنِيّـاً سَقَيْتُهـا
من السُمّ ما تَصْلي ظُنونَ المُحاذِرِ

٧ ـ قَتَلْنا غنيّاً يوم سَفْحِ مُحجِّرٍ
مُجاهِرةً؛ نفسي فداءُ المُجاهِرِ
٨ ـ ويومَ قناً لاقى الكلابيُّ عامراً
أخا ثِقَةٍ ثَبْتاً قليلَ العَواثِرِ

* * *

٩ ـ لو لم يَفُتْني العامريُّ لَنالَهُ
بوادرُ تُغْشي من عروقٍ نَواعِرِ
١٠ ـ أَعَلْقَمَ لا تكْفُرْ جوادَك بعدما
نَجَا بِكَ من بينِ المنايا الحَواضِرِ
١١ ـ ونجّاكَ يومَ الرَّوْعِ إذْ حَضَرَ الوَغى
مِسَحٌّ كَفَتْخَاءِ الجَناحينِ كاسِرِ
١٢ ـ إذا قُلْتُ: أَطْرافُ الرِّماحِ يَنَلْنَه
يَجُمُّ كسِرْحانٍ بِفَيْفاءَ ضامِرِ

التخريج:

(١ ـ ٤) الحماسة البصرية (١/٦١)، والكامل (٢/٧٣٤ ـ ٧٣٥).
(١ ـ ٣) الأغاني ١٧/١٨١.
(١ ـ ٢) معجم البكري (٤/١١٨١) ـ بعدهما أربعة أبيات ـ، وحماسة ابن الشجري (١٨) ـ بعدهما ثلاثة أبيات ـ.
(٢) الأزمنة والأمكنة للمرزوقي (١/٣٥) ط. حيدر آباد ١٣٣٢ هـ.
(٢ ـ ٣) ديوان المعاني للعسكري (٦٨ ـ ٦٩)، ومجموعة المعاني (١٩٢).
(٢) المعاني الكبير (٨٩٠)، والأزمنة والأمكنة للمرزوقي الأصفهاني (١/٣٥).

(٤) حماسة ابن الشجري (١٨) ـ ثالث الأبيات من خمسة ـ والأغاني (١٧٣/١٧).
(٥ ـ ٨) معجم ما استعجم (١١٨١/٤).
(٩ ـ ١٢) حماسة البحتري (٦٩).
(١٠ و١٢) حماسة ابن الشجري (١٨) متواليين.

اختلاف الروايات:

(١) في معجم البكري وحماسة ابن الشجري (إذا بدا).
(٢) في حماسة ابن الشجري (بجمع تلوح)، وفي المعاني الكبير والأزمنة والأمكنة (بجمع تضل)، وسائر الروايات (تضلّ) عدا الحماسة البصرية (تظل).
(٣) في الأغاني «مرتجز الوغىٰ» و«كثير حواشيه».
(٤) في الكامل والأغاني «أن يكره القنا»، وكذلك في حماسة ابن الشجري وفيها، وفي الأغاني (وحاجة نفسي في نمير وعامر).
(١٢) في حماسة ابن الشجري: «. . . . تناله أحال. . .».

اللغة والتعليق:

(١) «أبو مُكْنف»: زيد الخيل، «قد شدَّ عقد الدوابر»: عقد العزم وأحكم الأمر وسار إلى القتال، والدوابر: أعقاب الأمور، ج. : دابرة.
(٢) «تضل»: هي الصواب، قال العسكري: «قوله تضل البلق في حجراته: غاية في صفة الكثرة لأنَّ البلق مشاهير، فإذا خفي مكانها في جمع فليس وراءه في الكثرة شيء، والعرب تقول: أشهر من فارس الأبلق»، (ديوان المعاني ٦٩/٢)، والأبلق: الأبيض. «ترى الأكم منه سجداً للحوافر»: «يريد أنَّ الأكم قد خشعت من وقع الحوافر (المعاني الكبير: ٨٩٠).
(٣) «مرتجس أو مرتجز الوغى»: كثير الأصوات والجلبة، «كثير تواليه»: يردف بعضه بعضاً تباعاً، «سريع البوادر»: ينجز ما يريد على وجه السرعة.
(٤) «الورد»: فرس لزيد الخيل، و«حاجة نفسي»: أنسب معنى للمألوف من

القول، و «في نمير وعامر» إذا أراد القبيلتين، وفي رواية الحماسة البصرية يريد نميراً وحدها وهم: نمير بن عامر بـن صعصعة.

(٥) «متالِع»: جبل لغنيّ (البكري)، «فاء»: رجع، وفاء على شر طائر: رجع بشؤم وخسران، والضمير في «فاء» يعود على «جمعكم». غنيّ: قبيلة من قيس عيلان.

(٦) «تَصْلي»: تشوي وتحرق، وأعاد الضمير مؤنثاً على «ما» الموصولة، وظنونَ المحاذر: يتحقق الخائف الحاذر في هذه الحرب مما كان يخشاه من الموت والذل، و «ظنونَ»: مفعول مطلق منصوب بمضمون الجملة قبله أو عن تمام الكلام.

(٧) محجَّر: «قرن في ديار أبي بكر بن كلاب بفرع السرة في أسفله جَرَعَة بيضاء حُجّر بها؛ وكل جبل آزره رمل» (البكري: ٤/١١٨٨ ـ ١١٨٩).

(٨) «عامراً»: هو عامر بن الطفيل أفلت «يوم قنا» من زيد الخيل، «ثبتاً»: فارساً شجاعاً.

(٩) «العامري»: هنا علقمة بن علاثة بدلالة ما بعده، «عروق نواعر»: دفّاقة دماً، من نعر العرق: سمع للدم الخارج منه صوت، «تُغشي» من «أغشى»، والتقدير: تغشيه البوادر دماً. وفي أول البيت خرم.

(١٠) «أعلقم»: مرخم وهو علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص، أحد أشراف بني عامر، نافره عامر بن الطفيل على الرئاسة. «المنايا الحواضر»: يريد الموت المحقَّق.

(١١) فرس «مِسَحّ»: جواد، «فتخاء الجناحين»: عقاب لينة الجناح، سريعة. وكاسر: في أسرع أحوالها عند ضم جناحيها للوقوع: كسر الطائر ضم جناحيه يريد الوقوع.

(١٢) «يجم» الفرس: يوالي عدْوَه، كلَّما جرى شأواً أجدّ جرياً آخر، «السِّرحان: الذئب، «الفيفاء»: المفازة لا ماء فيها.

الحطيئة أسيراً

(١٦)

أسر زيد الخيل الحطيئة ثم منّ عليه وأطلقه إذ لم يكن عنده ما يفتدي به من الأسر، وفي ذلك قال زيد:

١ ـ أقُولُ لعَبْدي جَرْولٍ إذ أَسَرْتُه
أَثِبْني ولا يَغْـرُرْكَ أنَّـك شـاعـرُ

٢ ـ أنا الفارسُ الحامي الحقيقةَ والذي
لـه المَكْـرُمـات واللُّهـا والمـآثـرُ

٣ ـ وقومي رؤوسُ الناسِ والرأسُ قائدُ
إذا الحرب شَبَّتْها الأكفُّ المَساعرُ

٤ ـ فلستُ إذا ما الموتُ حُوذِرَ وِرْدُه
وأُتْـرِعَ حَـوْضـاهُ وجَمَّـح نـاظـرُ

٥ ـ بـوقّافـةٍ يَخْشى الحُتُوفَ تَهيُّباً
يُبـاعـدِني عنهـا من القُبِّ ضـامـرُ

٦ ـ ولكنَّني أَغْشى الحُتوفَ بصَعْدَتِي
مُجـاهـرةً إن الكـريمَ يُجـاهـرُ

٧ ـ وأُرْوِي سِنانِي من دِماءٍ عزيزةٍ
على أَهْلِهـا إذْ لا تُرَجَّىٰ الأَيـاصر

التخـريــج:

(١ - ٧) الأغاني (١٧/ ١٩٠)، ولباب الآداب (٢٢٠).

(١) سرح العيون (٦٧)، وديوان الحطيئة (٨٣).

اختـلاف الروايــات:

(٣) في لباب الآداب: «شنّتها»، بدل: «شبّتها».

(٤) في لباب الآداب: «ولست. . . .».

(٦) في اللباب: «مجاهر».

(٧) في اللباب: «إذ لا يُرجى الأناصر».

التعليــق:

في البيت السابع «الأياصر» كما في رواية أبي الفرج بمعنى القرابات والأرحام، وصوبها محمود محمد شاكر في اللباب فجعلها «الأناصر» جمع ناصر أو نصير، ولم أجد هذا الجمع، والأياصر لغة جمع أيصر: «وهي الأكسية التي ملؤوها كلأً وشدّوها» (اللسان: أصر)، وهو معنى لا يحتمله البيت. ومعنى القرابات هو المطلوب فهي «الأواصر» جمع آصرة وهي الرحم والقرابة ولعل الشاعر - والله أعلم - جمع آصرة على «آياصر» وإن كانت «الأواصر» هي القياس.

اللغــة:

جرول اسم الشاعر الحطيئة، وأثبني ثواباً: يريد: فادِ نفسك من الأسر بفداء، واللُّها جمع لُهْوة: الأُعْطية، المساعر: جمع مِسْعر، وهو الخشب، توقد به النار، وفلان مِسْعر حرب: رجل حرب وموقدها تُسعَرُ به الحرب من «سعر الحرب والنار أوقدها» (اللسان). وجمّح تجميحاً: حدد النظر بخوف كالمبهوت. والأقب: هو الضامر من الخيل، والصعدة: القناة المستوية، أي: الرمح.

ونحـن نتحـدى

(١٧)

كانت التحديات والغزوات ما بين بني عامر وطيّ سجالاً، وقال زيد الخيل هذه الأبيات ردّاً على بعض فرسانهم وشعرائهم:

١ ـ ونُبِّئْتُ أنَّ ابناً لشَيْماءَ هٰهنـا
تغنّى بنـا سكـرانَ أو مُتسـاكـرَا

٢ ـ وإنّ حَـواليْ فـردةٍ فعُنـاصِـرٍ
فكُتْلَةَ حيّاً يا ابْنَ شَيْمـا كَـراكِـرَا

٣ ـ ونحن مَلأْنا جَوَّ مَوْقِقَ بعـدكم
بَني شَمَجىٰ خَـطّيّـةً وحَـوافِـرَا

٤ ـ وكـلَّ كُمَيْتٍ كـالقنـاةِ طِمِـرَّةٍ
وكلَّ طِمِرٍّ يحسَبُ الغَـوْطَ حاجـرَا

* * *

٥ ـ لَعمْرُك ما أَخْشَىٰ التّصعْلُكَ ما بَقىٰ
على الأَرْضِ قَيْسِيٌّ يَسوقُ الأَباعرا

التخـريـج:

(١) الاشتقاق لابن دريد (٣٩٤).

(١ ـ ٢) معجم البلدان (عُناصر).

(٢ ـ ٣) معجم ما استعجم (٤/١١١٥ ـ ١١١٦).

(٣ ـ ٤) معجم البلدان (مَوْقق).
(٤) ابن قتيبة (المعاني الكبير: ١٩).
(٥) ديوان المتنبي شرح الواحدي (٥٨٩)، وشرح العكبري: ٤/٥.

اختلاف الروايات:

(١) في الاشتقاق: «نُبِّئْتُ».
(٢) في رواية البكري: «كُثْلة»، قال: «هكذا روي في شعر زيد كُثْلة بالثاء المثلثة». وعَنَاصر: بفتح العين ضبط قلم وفي البلدان بضمها.
(٥) استشهد به مفرداً الواحدي والعكبري، وإلحاقه بالأبيات من قبيل الحدس، ويؤيده ما فيه من السخرية والاستخفاف مما هو ظاهر في البيت الأول. وبنو عامر قيسيون، والأبيات في تحدي العامريين. وفصلنا ما بين البيت وما قبله تنبيهاً على وروده مفرداً.

اللغة:

(١) تغنَّى بنا: هجانا في شعره.
(٢) (فردة ـ عناصر ـ كُثْلة): أمكنة في بلاد طيء، و«كراكر» ج. كِرْكِرة: الجماعة من الناس، يريد حياً كثير العشائر والبطون. وشيماء بطن من بني عامر وابن شيماء: أحد رجالها وهو جبلة بن مالك، (انظر الاشتقاق لابن دريد ص ٣٩٤).
(٣) مَوْقِق من بلاد بني عامر (البكري): خطِّيَّة: رماحاً نسبة إلى الخط بلد في البحرين؛ وحوافر: خيلاً مغيرة.
(٤) الكميت: الفرس خالط حمرته قنوء، والطِمِرّ: الجواد الطويل القوائم السريع العدو. الغَوْط: المطمئن من الأرض، والحاجر: محبس للماء لطيف؛ فرسه يثب الغوط، فهو عنده كالحاجر (المعاني الكبير).
(٥) التصعلك: أصل المعنى: تصعلك: افتقر، والأباعر: ج. بعير، وفي قوله: «ما بقى على الأرض قيسي يسوق الأباعرا»، تعريض بهم، يريد أنّه: لن يخشى الفقر ما دام بنو قيس لديهم الأباعر، لأنَّه يغير عليهم فيغتني، وهم لا يستطيعون أن ينالوا منه لعزته ومنعته.

الأشحّاء بالخير

(١٨)

وقال يهجو قوماً بقعودهم عن نصرة جارهم:

١ ـ وأَعْجبني أَحسابُكم إذْ رأيتُكمْ
ومثلَ أَشاءِ النَّخْلِ من جاملٍ دَثْرِ
٢ ـ وغابَ من الخطّي وَسْطُ بُيوتِكم
كأنَّ عليهم الأسنةِ كالجَمْرِ
٣ ـ فلستُ بِهَاجِيْكُمْ ولكنّ جارَكُمْ
فقيرٌ إلى مَسْعَاتِكُمْ أيَّما فَقْرِ

التخريج:

(١ ـ ٣) الوحشيات لأبي تمّام (٢٣٩)، ط. دار المعارف ١٩٦٣ م.

الروايات:

لم ترد هذه الأبيات في غير «الوحشيات»، وليس فيما جمعنا له من الشعر مثلها قافية إلا بيتاً استشهد به البكري في معجمه (١٢٧٦/٤):

كأنّ شُرَيْحاً خرّ من مشمخرّةٍ ... وجاريْ شُرَيْحٍ من مواسل فالوَعْرِ

فإن كان البيت في الهجاء فهو منها، والله أعلم.

اللغة:

(١) «الحسب»: الشرف من المآثر والفعال أو من المال، و«أشاء النخل»: صغارها، الواحدة أشاءة، و«جامل»: العدد العديد من الإبل والقطيع الكبير، والدَّثْر: الكثير. يقول: نظرت إليكم فرأيت لكم حسباً وشرفاً ومفاخر تدعونها ومالاً كثيراً منتشراً.

(٢) «وَسْطُ» فاعل: غاب، وهو اسم في البيت غير ظرف، والخطيّ: الرماح، والأسنة رؤوسها: يصفهم بالكثرة، ولكنهم لا يغادرون منازلهم لكسب المحامد بل يقيمون لحماية أموالهم واتخاذها عماد حسبهم.

(٣) المسعاة: المعونة والمعروف والفضل: يهجوهم بأنهم أشحاء بالمعروف لا يجد فيهم الجار خيراً.

ناقتـــي

(١٩)

قال يذكر هوى نفسه في التنقل والتسيار شأن كلِّ بدوي ألف الضرب في الأرض:

١ ـ أرى ناقتي قد اجْتوَتْ كلَّ مَنْهَلِ
من الجَوْفِ تَرْعاهُ الرّكابُ ومَصْدرِ

٢ ـ فإن كَرِهتْ أَرْضاً فإنِّي اجْتَوَيْتُها
وإنّ عليَّ الــذنبَ إنْ لــم أُغَيِّــرِ

٣ ـ وتَقْطَعُ رَمْلَ الأَحْـوَرَيْنِ براكبٍ
صَبورٍ على طُول السُّـرىٰ والتَّهجُّرِ

* * *

٤ ـ غَدَتْ من زُخَيْخٍ ثم راحت عَشِيّةً
بحبْـرانَ إرْقــالَ العَتيقِ المُجَـفَّـرِ

التخـريـج:

(١ ـ ٣) معجم البلدان (الأَحْوران).

(٤) معجم البلدان (زُخَيْخ).

الـروايــات:

(٤) استشهد به ياقوت مفرداً، وألحقناه بالأبيات ترجيحاً لموافقته لها وزناً وقافية وموضوعاً.

اللغــة:

(١) اجتوت كرهت وعافت، والركاب الإبل. والجوف المطمئن من الأرض، ويراد به في البيت موضع بهذا الاسم، وثمة أمكنة كثيرة مسماة به. ومنهل الماء: مشربه، وأراد ورود الماء، و «مصدر»: الصدور عنه، وهو معطوف على «منهل» وجملة «ترعاه الركاب»: حال من «الجوف».

(٢ ـ ٣) أكون مذنباً «إن لم أُغيِّر»: الأرض بأرض لا تجتويها. الأحوران: موضع، والسرى: سير الليل، والتهجّر السير في الهاجرة.

(٤) زُخيج وحِبْران: موضعان، وأرقل البعير إرقالاً أسرع، والعتيق النجيب الكريم، والمجفَّر: الضخم الواسع جوف الصدر والجنبين، والعتيق والمجفَّر: من صفات الفرس، وهما في البيت من صفة البعير.

ضجَّت بنو الصيداء من حربنا

(٢٠)

كان كثير الغزو لبني الصيداء، وهم قوم أعزة، ولولا قوة شوكتهم ما أكثر الغزو فيهم، والذكر لهم، ومن ذلك قوله:

١ ـ ضَجَّتْ بنو الصَّيْداءِ من حَرْبنا
والحربُ من تَحْلُلْ به يَضْجَرِ

٢ ـ بتْنا نُزَجِّي نحوَهم ضُمّراً
مَعْروفة الأَنْسَاب من مَنْسِرِ

٣ ـ حتى صَبَحْناهم بها غُدْوةً
نَقْتُلهُم قَسْراً على الضُمَّرِ

٤ ـ يَدْعَونَ بالوَيْلِ وقد مسَّهم
منّا غَداةَ الشِّعْبِ ذي الهَبْشَرِ

٥ ـ ضَرْبٌ يُزيلُ الهامَ ذو مَصْدقٍ
يَعْلو على البَيْضِ والمِغْفَرِ

التخريج:

الأغاني ١٧/١٧٤.

اللغة:

بنو الصيداء بطن من بني أسد، و«نزجّي»: نسوق، وضمّراً: جمع ضامر، و«منسر» جاء في اللسان (نسر): «المَنْسِر والمِنْسَر: من الخيل ما بين

الثلاثة إلى العشر . . . وقيل ما بين المئة إلى المئتين»، ولكن البيت يدل على أن «مَنْسِر» علم لفرس أصيل تنسب إليه الخيل. و«صبحناهم بها»: أغرنا عليهم بالخيل صبحاً. و«نقتلهم قَسْراً»: نقتلهم قادرين عليهم غالبين لهم لا مفر لهم من مقتل منا، و«الويل»: الهلاك، وفاعل «مسّهم» أول البيت بعده. و«الهبشر» هو «الهَيْشِر» على الصواب: نبات صحراوي، وفي اللسان (هشر): الهيشر: كَنكر البَرّ ينبت في الرمال. و«الهام» جمع هامة: الرأس والبَيْض: جمع بيضة: القلنسوة من الحديد تلبس على الرأس في الحرب، والمِغْفر: «ما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد» (النهاية في غريب الحديث: ٣/٣٧٤: غفر)، والزرد: نسيج الدرع. ويُلْبس المغفر تحت القلنسوة.

يوم نَعْف قُشاوة

(٢١)

كانت منازل بعض بني شيبان ـ وهم من بكر بن وائل ـ متاخمة لبلاد طيء وكانت بينهم لقاءات وأيام، وبهذه الأبيات يفتخر بالنصر على شيبان في «نعف قشاوة»:

١ ـ نحن الفوارسُ يومَ نَعْفِ قُشاوَةٍ
إذ ثـارَ نَقْـعٌ كـالعَجـاجـةِ أَغْبـرُ
٢ ـ يُوحونَ مـالكَهم ونُوحي مـالكاً
كـلٌّ يَحُضُّ على القِتـال ويَـذْمُـرُ
٣ ـ صَـدْرَ النّهـارِ يُـدِرُّ كـلَّ وتيـرةٍ
بـأَسِنَّـةٍ، فيهـا سِمـامٌ، تَقْطُـرُ
٤ ـ فتَواهـقُوا رَسَـلاً كأنَّ شَـريدَهم
جُنْـحَ الـظّلامِ ، نَعـامُ سِيفٍ نُفَّـرُ
٥ ـ ونَحـا على شَيْبانَ ثَمَّ فـوارسٌ
لا يَـنْكِـلُون إذا الـكـمـاةُ تَـنـزَّرُ

التخـريـج:
(١ ـ ٥) معجم البلدان «قُشاوة».

اللغـة:
(١) قُشاوة: ماءة بنجد، والقُشاوة لغةً سُدٌّ مستطيل يُعْتَرض به الـوادي. والنعف ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادي (القاموس

المحيط)، وقوله: «نعف قُشاوة» يدلُّ على أنّ اللِّقاء كان بين الماء والجبل. النقع: الغبار في الحرب، ونقع أغبر يريد كثير الغبار كثيفهُ، والعجاجة من العجاج وهو الغبار أيضاً، ولا معنى للتشبيه إلا بالحمل على أصل المعنى إذ العجاجة الإبل الكثيرة العظيمة، وتشبيه النقع بها، بجامع الكثرة، للدلالة على أنه غبار عظيم يعم فضاء المكان ويلفّ به.

(٢) يوحون: من معاني الوحي: الصوت يكون في الناس وغيرهم وهو في البيت بمعنى يدعون ويستحثون، ومالكهم: فارس من بني شيبان، و«نوحي مالكاً»: نندب للقتال فارساً مثل فارسهم. يحضّ ويذمر بمعنى، وتذامر القوم على القتال: تحاضّوا، ولكن الذَّمْر ـ لعله ـ أشدّ حضّاً إذ من معانيه: «الحضّ والتهدّد وزأر الأسد» (القاموس المحيط).

(٣) «صدرَ النهار» الظرف متعلق بـ«يحضُّ» في البيت قبله، وفاعل «يُدِرّ» ضمير يعود على «القتال» أيضاً، والوتيرة: حجاب ما بين المنخرين، و«يدر كلّ وتيرة»: يجعل الأنوف تدفق دماً، والأسنة: رؤوس الرماح، والضمير في «تقطر» يعود عليها أي: تقطر الأسنَّة دماً من طعنها في أنوف الأعداء ووجوههم. والسِّمام جمع سِمّ، وجملة المبتدأ والخبر وصف لأسنّة.

(٤) الرَّسَل (بفتح السين) القطيع من كلّ شيء، وهو اللفظ الموافق للمعنى، وأمَّا «الرِّسْل» ـ الرِفْقُ والتُّؤَدة ـ، و«الرِّسْل» ـ السهل من السير ـ فلا يستقيم معهما للبيت معنى. وتواهقوا: استووا في الفعال، وتواهقوا رَسَلاً: كانوا جميعاً في الفرار سواءً، كالقطيع من النعام النافر. وسِيف جمع سُوفة وهي الأرض بين الرملة اللينة والصخر اليابس، وهو أعون لهم على العَدْو فراراً.

(٥) نحا على شيبان فوارس: مالوا عليهم يضربونهم؛ لا ينكلون: لا ينكصون، والكماة: ج. كمي: الفارس الشاكي السلاح، المدجج؛ تنزّر مسندٌ إلى الضمير المفرد (هي) العائد على جماعة «الكماة» باعتباره جمع تكسير، وأصل الفعل، بناء على الرواية، «تتنزر» حذفت تاء المضارعة تخفيفاً، ويجوز إسناده إلى ضمير الجماعة ـ تنزروا ـ والفعل،

عندئذ، ماض. و «تَنزّر»: انتسب إلى نزار بن معد، ولا يوائم البيت غير هذا المعنى من معاني هذا الفعل، وعليه فالمنتسبون إلى نزار هم «بنو شيبان» لأنّ نسب طيء ـ ومنهم زيد الخيل ـ في قحطان، ومعنى البيت على هذا التوجيه: إذا انتسب بنو شيبان إلى آبائهم داعين لنا للنزال لا ننكص عن منازلتهم. ولكن حمل المعنى على التعميم أوفق للصياغة وأجود مذهباً للدلالة على عموم القتال وأياً كان الكماة، ومن ثَمّ يحسن ـ عندي ـ أن يحمل «تنزّروا» على عموم الانتساب إلى الآباء عند الدعوة إلى المبارزة والنزال، ويشفع لهذا التوسع أن جل معارك الشاعر في قيس.

نصر وعمرو

(٢٢)

قال زيد الخيل في الخلاف ما بين نصر وعمرو، بطنين من أسد أو طيّء:

١ ـ فلو أنَّ نَصْراً أَصْلَحت ذاتَ بَيْنِها
لضحَّت رُوَيداً عن مَطالِبِها عَمرو

٢ ـ ولكنَّ نصْراً أَدْمنت وتَخاذلت
وقالوا: عَمَرْنا من محبَّتنا القَفر

٣ ـ فإن تَمْنعوا فِرْتاجَ فالعَمْرُ منهمُ
فإنَّ لهم ما بين جُرْثُمَ فالغَفر

التخريج:

(١ ـ ٣) معجم البلدان (فرتاج).
(١ ـ ٢) نوادر أبي زيد (٧٩).
(١) معجم مقاييس اللغة (٣/٣٩٣).

اختلاف الروايات:

(١) في نوادر اللغة: «لو أن. . .» و«عن مظالمها»، وفي مقاييس اللغة: «عن مصالحها»، وفي البلدان «لضجَّت».
(٢) هو في النوادر:

ولكنّ نصراً أَرْتعت وتخاذلت وكانت قديماً من شمائلها الغَفْرُ

التعليــق:

قوله: «فلو» بالفاء يشعر أن الأبيات من قصيدة قالها في أسباب الخلاف البعيدة ما بين عشيرتين أختين (نصر وعمرو)، وفيها يتلوم نصراً أن جرّت على نفسها الحيف والظلم بتفرق الكلمة وبالتسيّب والتراخي والتفريط بالمواقع والأرض. وقد روى أبو زيد البيتين في نوادره على أن حركة الرويّ الرفع، وهي حركة لا تستقيم ورواية ياقوت للأبيات الثلاثة فإن البيت الأول، في روايته، يصح فيه الرفع ولا بد في الثاني من النصب، وفي الثالث من الجر، ورواية ياقوت أكثر عدد بيت، وذاك مُرجِّح لها، ولذلك أجد أن القافية مُقيّدة والرَّويّ ساكن وما قبله مشموم بحركة أو شبه حركة. قال صاحب سمط اللآلي (ص ٦٠): «ويجوز في شعره التقييد والإطلاق، وهذا لا يكون إلا في بعض ضروب الكامل وفي بعض الرمل وفي المتقارب» فهل كان زيد يتوسع فيهما في غير هذه الضروب؟.

اللغــة:

(١) في نوادر أبي زيد: «يقال للرجل إذا أراد أن يفعل أمراً: ضحِّ أيها الرجل أي ارفق»، وهو فعل شاذ عند ابن فارس. ونصر وعمرو، ذكر محقق معجم مقاييس اللغة أنّهما ابنا قُعَيْنِ بطن من بني أسد بن خزيمة، وهو ما ذكره صاحب لسان العرب (ضحا)، وهي نسبة صحيحة (انظر عجالة المبتدي: ١١٩)، ولكن نصراً وعمراً اسمان لبطون كثيرة في غير قبيلة، وفي طيّء بطنان بهذا الاسم وهما نصر وعمرو كل منهما: ابن أدّد بن الغوث ـ وهو طيء ـ بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان (انظر جمهرة أنساب العرب ص: ٣٣٠). ويرجح عندي أنّ الأبيات فيهما فإن زيد الخيل كأنما يحكم في قضية أصدقائه وذويه، لا أعدائه من بني أسد. فإذا ثبت أن «فرتاج» في البيت الثالث من أعمال طيء، فلا جدال.

(٢) «أدمنت»: فعل لازم: أدمن الشيء: أدامه (القاموس المحيط)، وهي في شعر زيد الخيل بمعنى «تلبدت» في الأرض كالدِّمن بدليل قوله: «وتخاذلت» يريد: أحبّت كلأ الأرض ورضيت به عن السعي والمآثر،

ورواية أبي زيد: «أَرْتَعَت» بقطع الهمزة لا بوصلها ـ كما ضبطها محقّق الكتاب ـ في معناها: «أرتع القوم: وقعوا في خصب ورعوا، وقوم مرتعون، وكلأ رَتِع» (اللسان: رتع).

(٣) «فرتاج: موضع في بلاد طيء، وقيل: ماء لبني أسد» (معجم البلدان)، والعَمْر وجُرْثُم والغَفْر: أمكنه. وجرثم: ماء في جهات الرسِّ بالقصيم، ذكره زهير بن أبي سلمى في البيت السابع من معلقته برواية أبي زيد القرشي (جمهرة أشعار العرب: ١٥٦). وأمَّا الغَفْرُ، بالرفع، في رواية صاحب نوادر اللغة للبيت الثاني فهو مصدر كالمغفرة والغفران.

موت الغريب

(٢٣)

وفد على رسول الله ﷺ، فأسلم، وأقام دون الشهر يتفقه في الدين، وأمّره رسول الله على فَيْد وما حولها، وما أن فصل عن المدينة حتى هاجمته الحمّى فصرعته عند «فردة» أول ماء لطيّ قرب نجد، ولما أحسّ الموت قال:

١ ـ أمُطّلعٌ صَحْبِي المشارِقَ غُـدْوةً
وأُتْــرَكَ في بيـتٍ بفَــرْدَةَ مُـنْجِــدِ

٢ ـ سَقَى اللهُ ما بَيْنَ القَفيلِ فطَابةٍ
فـرُحْبَةِ إرْمـامٍ فَما حَـوْلَ مُـرشِـدِ

٣ ـ هُنَالِكَ لَوْ أنّي مرضْتُ لَعَادَني
عَـوَائدُ من لم يُشْفِ منهنَّ يَجْهـدِ

٤ ـ فَليتَ اللَّواتِي عُدْنَني لم يَعُدْنَني
وليتَ اللَّواتي غِبْنَ عنِّيَ عُــوَّدي

التخريـج:

(١ ـ ٤) معجم ما استعجم (١٠١٨/٣)، ومعجم البلدان (فردة)، والأغاني (١٧/١٧٥ ـ ١٧٦) ـ طبعة دار الثقافة، بيروت ـ.

(١ ـ ٣) معجم البكري (١٤١/١).

(٢) معجم البلدان (طابة).

(١ و٣) الطبري (٣٩٩/٢)، وتهذيب ابن عساكر (٣٤/٦)، وسيرة ابن هشام (٢٤٥/٤) ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ.

(٣) و٤) الروض الأنف: ٣٤٢/٢.

اختلاف الروايات:

(١) في تهذيب ابن عساكر والطبري وابن هشام: «أَمُرْتَحِلٌ صحبي...».

(٢) في معجم البكري (١/١٤١): «فبَرْقة إرمام فما حول مُنْشد»، وقال: إرمام بكسر أوله، وياقوت ـ في الموضعين ـ والأغاني: «فما دون أرمام فما فوق مُنْشد»، وفي شعر النمر بن تولب: «فبرقة أرْمام» (جمهرة أشعار العرب: ٤١٩).

(٣) ياقوت: «هنالك إني لو مرضت»، وفي تهذيب ابن عساكر والطبري وابن هشام: «ألا رُبَّ يوم لو مرضت» و«لم يَبْرَ» بدل: «لم يَشْفِ».

(٤) في الروض الأُنف: «شُهّدي»، بدل «عُوّدي».

التعليق:

لعله لم يقل غير هذه الأبيات الأربعة إذ اشتد عليه المرض وأحسّ دنو الأجل، وعفوية الشعر والصور المتداعية من الماضي للأحبة، وما في البيت الرابع من التأوه الموقّع الحزين يدل على ذلك.

اللغة:

(١) «فردة»: ماء لجرْم في ديار طيِّء، ومُنجد ـ بضم الميم ـ من أنجد الرجل إذا صار إلى بلاد نجد، فإنّ «فردة» أول مياه طيء مما يلي نجداً، يريد أنّ قبره بعيد عن منازله قريب من نجد. ويجوز «مُنْجد» بمعنى مرتفع، فالنجد ما أشرف من الأرض وارتفع، ويرشح لهذا كونه صفة لـ«بيت» المراد به القبر، والعرب تصف بيوتها بالرفعة، فإذا كان هو المعنى جاز أن يكون «مِنْجَد» بزنة «منبر» وهو الجبيل الصغير (القاموس المحيط)، أي: قبر مشرف مقيم إقامة الجبيل، و«أتركَ» بالنصب على تقدير «أن» بعد واو المعية، ومن أجاز الرفع جعلها واو الحال، وقدر بعدها مبتدأ: «أنا»، والنصب أعرف.

(٣) «لم يَشْفِ»: بفتح الياء وضمها مثل: «لم يَبْرَ» بمعنى واحد، وشفاه وبرأه: طلب له الشفاء والبرء.

أقاتـل وأنجـو

(٢٤)

وقال يفخر بشجاعته وقومه بطون طيّء:

١ ـ أُقاتِلُ حتَّى لا أرىٰ لي مُقاتَلاً
وأنْجــو إذا لم يَنْجُ إلَّا المُكَيَّسُ

٢ ـ ولستُ بذي كُهْرورَةٍ غيرَ أنَّني
إذا طَلَعت أُولى المُغيــرةِ أَعْـبسُ

٣ ـ ويَقْذِفُ حَوْلي جَمْعُ أَخْزَمَ بالحصى
وجَمْـعُ سَـلامـانَ الحمـاةُ وسِنْبِسُ

٤ ـ ويَقْذِفُ شمّاسُ بنُ عَمْرٍو ورَهْطُه
ويا رُبَّ منهم دارعٍ وهو أَشْـوسُ

التخـريــج:

(١ ـ ٤) النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري (ص ٧٩).

(١ ـ ٢) الفاضل للمبرد.

(١) سيبـويه (٢/٢٥٠)، وشـرح التبريـزي لحماسـة أبي تمام (١/٩٤)، والخصائص (١/٣٦٧)، ولسان العرب (قتل)، وسمط اللآلي (٣٤٥).

(٢) اللسان (كهر).

(٤) شرح أبيات المغني (٣/٢٠٧).

اختـلاف الروايــات:

(١) في شرح التبريزي والسمط: أقاتل ما كان القتال حزامةً.

(٤) في شرح أبيات المغني شمَّاخ بدل شمّاس.

اللغــة:

(١) «مقاتَلًا»: اسم مكان من قاتل (سيبويه: ٢/٢٥٠)، و«المكيِّس»: قال الشنتمري: «هو الكيِّس»، وهو العاقل وذو الذكاء الوقاد. وقال التبريزي في معنى البيت: «وإنما هذا كلام من جمع إلى شجاعته وإقدامه حذراً وحزماً».

(٢) ذو كهرورة: صاحبها، قال أبو زيد في النوادر: «الكهرورة: الضحك واللعب واللهو»، وقال صاحب اللسان ـ وذكر البيت ـ الكهر: القهر. والكهر: عبوس الوجه، والكهر: الشتم. في فلان كهرورة أي انبهار وتعبيس من خاطبه. وهو المعنى الموافق لتمام البيت: ليس من عادتي أن أرى عابساً ولكن أفعل ذلك إذا تصديت للعدو المغير، والمغيرة: الخيل.

(٣ ـ ٤) أخزم وسلامان وسِنْبِسُ ورهط شماس بن عمرو: بطون من طيّء. والحصى: العدد، ويقذفون بالحصى من حولي: يتدفقون من حولي عدداً كثيراً، والجار والمجرور ـ بالحصى ـ متعلقان بحال من فاعل يقذف. والدارع: لابس الدرع، وأشوس: ذو شَوَس، والشَوَس: النظر بمؤخر العين تكبراً أو تغيظاً وغضباً، أو هو رفع الرأس تكبراً. وقال أبو زيد في ـ ويا رُبَّ منهم دارعٍ ـ: «فصل بين ربَّ ودارع».

هلا سألتِ ما حسبي

(٢٥)

زعم الزجاجي في أماليه (٦٨) أن شريفة ذات جمال من بنات ملوك اليمن تعرض لخطبتها ثلاثة من أسياد طيء، أحدهم زيد الخيل، وكلٌّ أنشد بين يديها شعراً في مناقبه، فقال زيد:

١ ـ هَلاّ سَأَلْتِ بَني نَبْهانَ ما حَسَبي
عِنْدَ الطِّعانِ إذَا ما احْمرّتِ الحَدَقُ

٢ ـ وجَاءَتِ الخَيْلُ مُحْمرّاً بَوادِرُها
بالماءِ يَسْفَحُ عن لبَّاتِها العَلَقُ

٣ ـ والخَيْلُ تَعْلَمُ أنّي كنتُ فارسَها
يومَ الأكَسُّ به من نَجْدةٍ رَوَقُ

٤ ـ والجارُ يَعْلَمُ أنّي لَسْتُ خاذِلَه
إنْ نابَ دَهْرٌ لَعظْمِ الجارِ يَعْترقُ

* * *

٥ ـ هَلْ أطْعنُ الفارس الحامِي حقيقتَه
نجلاءَ يَهْلِكُ فيها الرَّيبُ والخَرَقُ

* * *

٦ ـ هذا الثناءُ فإن تَرْضَيْ فراضيةٌ
أو تَسْخَطي فَإلَى من تُعْطَفُ العُنُقُ

التخـريـج:

(١ ـ ٤ و ٦) أمالي الزّجاجي (٦٨)، وخزانة الأدب (٢/١٦٤).

(١ ـ ٢ و ٤ ـ ٥) حماسة ابن الشجري (١٨).

(١) سمط اللآلي (٥٧٧).

(٤) ديوان المعاني للعسكري (٤٩)، وجمهرة اللغة لابن دريد (١/٩٥).

اختـلاف الروايـات:

(١) في السمط: «يوم الهياج» مكان «عند الطعان»، وفي الخزانة «بني ذبيان» بدل «بني نبهان».

(٢) في حماسة ابن الشجري (مبتلّاً رحائلها)، وفي الخزانة (من لبَّاتها).

(٣) في جمهرة لغة العرب (حينَ الأَكَسُّ).

(٤) في الخزانة (. . . لست أُخْذُلُه)، وفيها وفي حماسة ابن الشجري (. . . مُعْترق).

اللغـة والتعليـق:

انفرد ابن الشجري في حماسته برواية البيت الخامس، ويعوِّل صاحب الخزانة على الزّجاجي في رواية الأبيات وقصتها، وفي الحماسة البصرية (١/٩٧) خمسة أبيات شبيهة بها غرضاً لزهير بن مسعود الضبي، ولعل تداخلاً بين المقطوعتين قد وقع، فإنَّ الأول والثاني لزهير شبيهان بنظيريهما من شعر زيد، والبيت الخامس الذي استقل بروايته ابن الشجري فيما رواه لزيد الخيل قد يكون ـ أصلاً ـ لزهير؛ فالصياغتان بينهما قُرْب على اختلاف في اللفظ، وبيت زهير:

هل أترك القِرْنَ مُصْفَرّاً أنامِلُه ... قد بلَّ أثوابَه من جَوْفِه العَلَقُ

(١) «بنو نبهان»: قبيلة الشاعر. «الحَدَق»: ج. حَدَقة: سواد العين، ويراد بها العين في البيت، فإنّ الاحمرار لا يظهر في سوادها. وهذا من المجاز.

(٢) «بوادر الخيل»: سوابقها وأوائلها، «اللَّبات»: ج. لبَّة: موضع الصدر من

الفرس، و«العلق»: الدم عامة، أو الشديدة الحمرة، أو الجامد منه، ورواية ابن الشجري «مبتلاً رحائلها» أجود، مراعاة لقوله: «بالماء» إلاَّ أن يريد الشاعر: أن عَرَق الخيل اصطبغ بلون دمائها.

(٣) الكَسَسُ: قصر الأسنان أو صغرها، وقيل: هو خروج الأسنان السفلى من الحنك الأسفل، وتقاعس الحنك الأعلى، و«رَوَق»: أن تطول الثنايا السفلى، و«الأَكَسُّ» ـ إذن ـ القصير الأسنان قد كلح من كراهة القتال وشدة الروع فصار كأنّه أروق، وهو الطويل الأسنان (ديوان المعاني: ٢/٤٩)، والأكسُّ مبتدأ خبره جملة «به رَوَق» والجملة الكبرى مضافُ إليها الظرف.

(٤ ـ ٥) عرق العظم واعترقه: أكل ما عليه من اللحم، وفارس حامي الحقيقة: يحمي ما في حوزته من أرض وتلاد وعرض وشرف. و«النجلاء»: الطعنة الواسعة، والخرق: الطيش وعدم إحكام الأمر، ومعنى «يهلك فيها الرَّيْبُ والخَرَق» أي: محكمة نافذة قاتلة.

(٦) «فإلى من تُعْطَفُ العُنُق»: فاذهبي إلى من تميلين إليه، و«الثناء»: ثناؤه على نفسه ومدحه لها في الأبيات وذكر محامده، أي: إن رضيت أخلاقي وشرفي فذاك وإن لم ترضَي فاختاري من شئتِ. و«راضيةً» يجوز فيها الرفع على الإخبار، والنصب بتقدير الفعل: فقرّي راضيةً، ويُرجّح تقدير الفعل تقديره في الشطر الثاني: «فاذهبي إلى . . .».

أمنيـة خائـب

(٢٦)

كان مزيد: وهو رجل من بني أسد، يعلن متبجّحاً لو يلقى زيد الخيل، فغزا زيد قوم الرجل ولما برز له، أدرك أن لا قبل له بزيد الخيل؛ فآثر الفرار، وذكر زيد ذلك في شعره:

١ ـ تمنّى مَـزْيـدٌ زيـداً فَـلاَقَىٰ
أَخَـا ثِقَـةٍ إذَا اخْتلَف العَـوَالِـي

٢ ـ كمُنْيـةِ جابـرٍ إذْ قَـالَ: لَيْتـي
أُصـادِفُـهُ وأُتْـلِفَ جُـلَّ مَـالِـي

٣ ـ تَـلاَقَيْنـا فَـمَـا كُنَّـا سَـواءً
ولـكنْ خَـرَّ عَـنْ حَـالٍ لِحَـالِ

٤ ـ وَلَـولاَ قـولُـه: يـا زيـد قَـدْني
لَقَـدْ قَـامَتْ نُـوَيْـرَةٌ بـالمَـآلِي

٥ ـ شَكَكْتُ ثِيَـابَـهُ لمّـا الْتَقَيْنَـا
بِـمُـطَّرِدِ الـمَـهَـزَّةِ كـالـخِـلاَلِ

* * *

٦ ـ تَـذكَّـر وَطْبَـهُ لـمَّـا رآنـي
أُقـلِّبُ صَـعْـدَةً مـثـلَ الـهِـلاَلِ

٧ ـ وأَسْلَمَ عِـرْسَـهُ لمَّـا التقَيْنـا
وأَيْـقَنَ أنَّــنـا صُـهْـبُ الـسِّبـالِ
٨ ـ فـإنْ يَبْـرَأْ فَلَمْ أَنْفُثْ عَـلَيـه
وإنْ يَـهْـلِكْ فـإنِّـي لاَ أُبَـالِـي
٩ ـ وَقَـدْ علِمَتْ مَعـدٌّ أنْ سَيْفي
كَـريـهُ كـلَّمـا دُعيـتْ: نَـزالِ
١٠ ـ أُغَـادِيْـهِ بصقـلٍ كـلَّ يـومٍ
وأُعْجِمُـه بِـهَـامَـاتِ الـرِّجَـالِ

* * *

١١ ـ وَقَـدْ بَلَغَتْ سَواءَةُ كـلَّ مجدٍ
بـأنفسِهـا إذَا سَمِـنَتْ فِـصَـالِي

* * *

١٢ ـ أقـرِّبُ مَـرْبِطَ الهَـطّالِ إنِّي
أَرَىٰ حَـرْبـاً تَلقَّـحُ عَنْ حِيـالِ
١٣ ـ أُسَـوِّيـه بمُكْنِفَ إذْ شَتَـوْنـا
وأُوثِـرُه عـلى جُـلِّ الـعِـيـالِ

التخـريـج:

(١ ـ ٥) خزانة الأدب (٢/٤٤٦ ـ ٤٤٧).

(١ ـ ٢) اللسان (٢/٣٩٣).

(٢) سيبويه (١/٣٨٦).

(٣) المعاني الكبير (٩٢٥ ـ ٩٢٦) ـ أول ثلاثة ـ.
(٥) المعاني الكبير (١٠٩٥).
(٦ ـ ١٠) الحماسة البصرية (١/٧٧).
(٦) المعاني الكبير (٩٢٥) ـ ثاني ثلاثة ـ.
(٧) الكامل (٢/٦٥٠)، والمعاني الكبير (٨٥١ و١١٣٥)، وشرح أبيات المغني (٢/٢٢١) ـ شطره الثاني ـ.
(٩ ـ ١٠) العقد الفريد (١/١٠٩)، والكامل (١/٢٧٢)، والتاسع ـ أيضاً ـ في أمالي ابن الشجري ٢/١١١.
(١١) المعاني الكبير (٩٢٦) ـ الأخير من ثلاثة ـ.
(١٢ ـ ١٣) حلية الفرسان وشعار الشجعان (١٥٩).

اختــلاف الروايــات:

(٢) ذكر البغدادي أن رواية الجوهري: «. . . وأفقد جلّ مالي» واستحسنها العيني (الخزانة: ٢/٤٤٧)، وفي المقتضب للمبرد: (. . . ويهلكَ جلُّ مالي» (١/٢٥٠).
(٣) في المعاني الكبير (٩٢٥): «. . . فما صبنـا سواء. . .».
(٥) في المعاني الكبير (١٠٩٥):

سلكتُ مجامع الأوصال منه　　بمطّرد الـوقيعـة كـالخــلال

(٦) في المعاني الكبير (٩٢٥): «. . . أقلب أَلَّةً. . .».
(٧) في الكامل للمبرد (٢/٦٥٠): «. . . لما رآنا. . .».
(٩) في العقد الفريد (١٠٩): «وقد علمت سلامة. . .»، وكذلك في الكامل (١/٢٧٢)، والمقتضب (٣/٣٧١).
(١٠) في العقد والكامل: «أحادثه بصقل. . .».
(١٢) في الأغاني (١٧/١٧٢): «. . . ستلقح. . .».

اللغــة والتعليــق:

ذكر البغدادي في الخزانة (٢/٤٤٦) أن الأبيات (١ ـ ٥) ـ التي أوردناها عنه ـ هي أول القصيدة والأبيات الثلاثة التي جاءت في «المعاني الكبير:

٩٢٥»، دلّت أن أبيات الحماسة البصرية الخمسة من القصيدة نفسها فجعلناها في الترتيب بعدها (٦ ـ ١٠)، ولمّا كان البيت (١١) من أبيات ابن قتيبة المذكورة جعلناه بعد أبيات الحماسة، وأمَّا البيتان (١٢ ـ ١٣) فما من دليل ماديّ على أنَّها من القصيدة سوى البحر والقافية، وليس الغرض منها ببعيد، وإن كان الضمّ لا يحقّق تلاحماً عضوياً تلاحم سابق الأبيات.

(١) مَزْيد: رجل من بني أسد كان يتمنى لقاء زيد الخيل فلما لقيه لم يَثْبت له. «أخا ثقة»: وثوقه بشجاعته، و«العوالي»: الرماح، واختلافها: تشابكها عند الطعان.

(٢) «جابر»: رجل من غطفان تمنى أن يلقىٰ زيداً، فلما لقيه طعنه زيد فانقلب ظهراً لبطن وانكسر ظهره، و«المنية»: واحدة المنى، وكلا الرجلين لقي من زيد ما يكره. و«أتلفَ» أو «أفقدَ» منصوب بأن المضمرة بعد واو المعية. و«ليتي» بحذف نون الوقاية، والكاف في «كمنية» في موضع نصب المفعول المطلق: تمنياً مثل منية..

(٣) «خر عن حال لحال»: الحال الأولى: ظهر الفرس، والثانية: لحظة الطعن أي: سقط عن ظهر الفرس بطعني له في الحال (الخزانة: ٤/٤٤٨)، وقال ابن قتيبة: «الحال الأولى لقاؤه، والثانية صرعه» (المعاني الكبير: ٩٢٥).

(٤) «قَدْني»: اسم فعل بمعنى حسبي، ونُويْرة: امرأة جابر، والمآلي: ج. مئلاة: خرقة تكون مع النائحة تأخذ بها الدمع (المصدر السابق).

(٥) «مطرد المهزة»: الرمح إذا هُزّ باليد اطرد. «كالخِلال»: دقيق حاد، كالعود الذي يُتخَلَّل به.

(٦) الوطب: سقاء اللبن، ومعنى تذكر وطبه: أحب الحياة والعيش فأحجم عني، والصعدة: الرمح، وفي رواية «ألّة»: هي الحربة، وشبهها بالهلال بدقتها وجلائها.

(٧) عرسه: زوجه، والسبال: ج. السبل: ما على الشارب من الشعر، والصُّهْب: ج. أصهب، من الصَّهَب: حمرة أو شقرة في الشعر. قال الفيروزأبادي: «والأعداء صهب السبال وإن لم يكونوا كذلك»، قال ابن

منظور: «ويقال: إن الأصل في الصهب أن الأعداء صهب السبال، وكانوا لهم أعداءً، فكثر حتى قيل للأعداء، من كانوا وكيف كانوا، صهب السبال» (اللسان)، ومعنى قوله: لما تحقَّق له أنَّنا أعداؤه حقّاً.

(٨) «يبرأ»: من البرء وهو الشفاء، «لم أنفث عليه»: لم أنفخ عليه برقية ليشفى، ومعنى البيت: لا أعبأ بحياته أو موته.

(٩) «معد»: يريد قبائل عدنان كلَّها، والشاعر من طيء، وطيء من قحطان؛ وفي رواية «سلامة»: هم أبناء سلامة بن سعد بن مالك من بني أسد وكان الشاعر كثير الغارة عليهم.

(١٠) «أغاديه»: أصل المغاداة المباكرة في الغداة، ورواية «أحادثه» أدقُّ وأكثر: «تقول العرب: حادث فلان سيفه إذا جلاه وشحذه» (الكامل: ١٢٠)، وأعجمه: أعِضّه: من عجم العود أي عضّه.

(١١) من معاني «المجد»: الامتلاء والكثرة، وسَواءة الشيء: ما ساء منه، واسم قبيلة، قال ابن قتيبة: «يكثر البقل ويكثر اللبن فتسمن الفصال، فيقول: إذا نبت البقل فقد بلغوا الغاية في العداوة ولم يكن بعد ذلك إلاَّ القتال» (المعاني الكبير: ٩٢٦)، والفِصال: ج. فصيل: البعير إذا فصل عن أمِّه، وكلام ابن قتيبة يحتمل توجيهين: تكثر الدَّعة والخصب، فتسمن إبله فيُطمَعُ بها فيؤدب عنها أعداءه، أو كلّ مجد أعدائه أن يخصبوا وتسمن فصالهم فيغزوهم ليغنمها، وقال «فصالي» على ادّعاء أن ما ينتجونه من الإبل هو له حين يغزوهم. وهم سواءة بن عامر بن صعصعة».

(١٢ ـ ١٣) الهطّال: اسم أحد أفراسه، مُكْنِف: ولده، وبه يُكنى و«مكنف»: عامله معاملة الممنوع من الصرف ضرورة.

عهدٌ بلا أمان

(٢٧)

قال ابن قتيبة: «كان كسرى أرسل إلى مال إياس (ابن قبيصة) ليأخذه، فنفرت عن ذلك طيّء، وقد أراد أن يبطش بأناس منهم، فلما رأى ذلك كسرى كتب لهم كتاباً فيه أمان، فقال زيد شعراً يحض قومه وينهاهم أن يقبلوا كتابه أو يطمئنوا إليه»، (المعاني الكبير: ١٠٠٨).

١ ـ أتتني لسانٌ لا أُسَرُّ بذكرها
تَصدَّعَ منها يَذْبُلٌ ومُواسِلُ

٢ ـ وقد سبقَ الريّانُ منه بذِلّةٍ
فأضحىٰ وأَعْلى هَضْبِهِ مُتَضائِلُ

٣ ـ فإنَّ امْرأً منكم، معاشرَ طيّءٍ
رجا فَلَجاً، بَعْدَ ابنِ حَيّةَ، جاهلُ

* * *

٤ ـ أفي كلِّ عامٍ سيّدٌ يَفْقدونه
تُحكِّكُ من وَجْدٍ عليه الكلاكِلُ

٥ ـ ثم يكونُ العَقْلُ منكم صحيفةً
كما عُلِّقتْ على السّليمِ الجَلاجِلُ

التخريج:

(١ ـ ٣) معجم البلدان: (المُواسِل).

(١ ـ ٢) معجم ما استعجم (١/ ٦٩٠).

(٤ ـ ٥) المعاني الكبير (١٠٠٨).
(٥) الحيوان للجاحظ (٤/٢٤٧).

اختـلاف الروايـات:

(٢) في معجم البكري: (منها).
(٤ ـ ٥) ذكرهما ابن قتيبة، وكَوْنُهما من الأبيات لا شك فيه عندنا؛ لوحدة الغرض.
(٥) في الحيوان:

أيم يكون النعل منه ضجيعه   كما علقت فوق السَّليم الخلاخل

وهو تصحيف جليّ.

اللغـة:

(١ ـ ٣) لسان: رسالة، تصدّع: تشقّق صدوعاً، و«يذبل ومُواسِل»: جبلان في أرض طيء، و«الريان»: جبل أو ماء بين بلاد طيء وأسد، وهضب الجبل: ما انبسط من قنته، و«متضائل»: متطامن من الذل، و«فلجاً»: ظفراً وفوزاً، و«ابن حيَّة»: هو إياس بن قبيصة الطائي، وكان في جيش كسرى على إحدى كتائبه يوم ذي قار، فقتله بعد هزيمة الفرس، وحية جد لإياس (انظر جمهرة أنساب العرب: ٤٠٠)، وقد سبق الريان منه، بتذكير الضمير بعودته على معنى «لسان»: كتاب، أو على صاحب الرسالة وهو كسرى. ورواية «منها» أقرب، وواضح من الأبيات أن ابن حية هو صاحب الريان.
(٤) «أفي كل عام سيد يفقدونه»: تذكير بما كان من قتل كسرى لإياس بن قبيصة: «تُحكّك» بالمبني للمفعول، و«الوجد»: شدة الحزن، والكلاكل الصدور، وأراد بتحكيك الصدور ما تعانيه من ضيق وأسف حتى تكثر الأيدي حكَّ الصدور تريد أن تتفرَّج من حزنها.
(٥) «العقل»: الدّية، و«الصحيفة»: كتاب كسرى إلى طيء أن يسلّموا مال إياس إليه، و«السليم»: اللديغ، ورواية ابن قتيبة «على السليم» أدق

تعبيراً ولغةً، ورواية الجاحظ «فوق السليم» خير وزناً للسلامة من العلل. و«الجلاجل» ج. جُلْجُل: الجرس، وفي رواية الجاحظ «الخلاخل» ج. خُلْخُل: وهو الخلخال: حلي معروف. وكان العرب تعلّق الجلاجل أو الخلاخل على اللديغ كيلا ينام. وروايته للشطر الأول: «أيم يكون النعل منه ضجيعه» تصحيف ظاهر، يرجح عندي من المقارنة ما بين الروايتين أن يكون أول البيت «أَثُمَّ يكون...» وبهمزة الاستفهام يستقيم للبيت وزنه وينجو من الخرم. يقول: لا يخدعنكم كتاب كسرى كما يخادع اللديغ عن النوم بأصوات الحليّ.

الفارس

(٢٨)

وقال يفتخر بفروسيته:

١ ـ ليس أخو الحرب العَوانِ بمن نأى
بجانبه ولا السّؤوم المُؤاكِل

٢ ـ ولكن أخوها كلُّ أشْعثَ دارعٍ
يُعالي السّلاحَ فوقَ نَهْدٍ مُناقِلِ

٣ ـ وأسْمرَ مرفوعٍ يرى ما أرَيْتُه
بصيرٍ إذا صوّبته بالمقاتِلِ

* * *

٤ ـ فلا شَرِباً إلا بلَزْنٍ مُصرّدٍ
ولا رَمِياً إلَّا بأفْوقَ ناصِلِ

التخريج:

(١ ـ ٣) حماسة ابن الشجري (١٨).

(١ ـ ٢) حماسة البحتري (٣٨).

(٣) ديوان المتنبي شرح الواحدي (ص ٤٩)، وشرح العكبري (٤/١٩١).

(٤) المعاني الكبير (٨٣٢).

اختلاف الروايات:

(٢) في حماسة البحتري: «... فوق أجرد ناقل».

(٤) في حماسة ابن الشجري بهذا اللفظ:

وأسمرَ مَرْبوعاً يرى ما أَرَيْتُه بَصيراً إذا أَشْرعتُه بالمَقـاتلِ

التعليـق واللغـة:

اشترك البحتري وابن الشجري في رواية البيتين الأول والثاني، وزاد ابن الشجري البيت الثالث. وتفرد ابن قتيبة بالبيت الرابع، ولم نجعله من المقطوعة بشفاعة البحر والقافية فحسب، ولكن لمناسبة المعنى والغرض؛ فالأبيات في صفة المقاتل الصبور المجرّب، والبيت الثالث في هذا الغرض؛ ولم نجعل بيتاً آخر عزاه صاحب اللسان لزيد الخيل في (ودج) خامساً لها: لانقطاع النسبة المعنوية، والبيت هو:

فقُبِّحتُمُ من وَافدَيْنِ اصْطُفيتُما ومن وَدَجَيْ حَرْبٍ تَلَقَّحُ حائلِ

(١) «الحرب العوان»: الشديدة القوية، قد اجتمعت لها أسباب الشر والهول واستحصدت، ويقال للمرأة التامة المكتملة «عوان»، و«نأى بجانبه»: ابتعد وتكبر، و«السَّؤوم»: من لا صبر له، و«المؤاكل»: من يستأكل أموال الناس أو المفسد بينهم، والمعنى الثاني أقرب رحماً بالبيت، وهي بهذا اللفظ في روايتي البحتري وابن الشجري، ولعلها «المواكل» وهو الجبان، وهي صفة أشد مواؤمة للموصوف قبلها. وفي أول البيت «خرم» وهو كثير في شعره.

(٢) «الأشعث: الأغبر المتلبد شعر الرأس»، و«دارع»: ذو درع، يعالي السلاح: يلبسه ويتدجج به، و«نهد»: الفرس الطويل القوائم، و«مناقل»: سريع نقل القوائم.

(٣) «شرِبٌ ورَم»: صفة على وزن فَعِل، والمعنى: فلا أشرب ولا أرمي، ولم أجد صفة من «رمى» على «فَعِل» وإن صحت الرواية فزيد الخيل حجة، وتكون هذه اللفظة صحيحة بالسماع، وهذا هو المظنون بها، لأنَّ السياق في البيت يطلبها، فهناك توازن موسيقي سليم بين كلمة «شرباً» في الشطر الأول، وبين «رمياً» في الشطر الثاني. قال ابن قتيبة: «اللَّزْن: الضيقُ والقِلّة، والمصرَّد الذي ينقطع قبل الريّ، والأفوق: السهم

المنكسر الفوق، والناصل: الساقط النصل» (المعاني الكبير: ٨٣٢).

(٤) «وأسمر»: ورمح أسمر، والسُّمْر: الرماح. «ومرفوع»: سدّده حامله للطعان، ورواية ابن الشجري «مربوع»: ليس بالطويل ولا القصير. و«الواو» في رواية الواحدي والعكبري واو «ربَّ» وما بعدها مبتدأ مجرور لفظاً بفتحة لأنَّ الصفة على وزن أفعل، و«مرفوع» بالجر - أيضاً - صفة «أسمر». ولكن الواو في رواية ابن الشجري حرف عطف، و«أسمر» معطوف على المفعول به في قوله: «يعالي السلاح» ولذلك نصب «بصيراً» ولا ندري أرواية أم اجتهاداً منه، والمقاتل: ج. مقتل: موضع القتل.

لـقـاء

(٢٩)

أغارت عامر على طيء، فنذروا بهم، فاقتتلوا اقتتالاً شديداً ظهرت فيه طيء عليهم، فقال زيد الخيل:

١ ـ عَفَـا من آلِ فـاطمـةَ السّليـلُ
وقـد قَـدُمت بـذي أَوَبٍ طُلولُ

٢ ـ خَلَتْ وتَـزجَّـر القَلَعُ الغـوادي
عليهـا فـالأنـيسُ بـهـا قـليـلُ

٣ ـ وقفتُ بهـا فلمَّـا لم تُجبْني
بـكيـتُ وَلَمْ أَخَـلْ أنِّـي جَهُـوْلُ

* * *

٤ ـ وقـالـوا: عـامرٌ سـارَتْ إليكُمْ
بـألْـفٍ أو بُـكـاً مـنـه قـليـلُ

* * *

٥ ـ ولمـا أنْ بَـدَت لصَفـا أُراقٍ
تـجمَّـعَ مـن طـوائـفِـهـم فُـلولُ

* * *

٦ ـ كأنَّهُمُ بجَنْبِ القاعِ أُصْلاً
نَعامٌ قالِصٌ عنه الظُّلول

التخريج:
(١ ـ ٣) معجم البلدان: (أَوَب).
(١) معجم البكري (١/١٣٥).
(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/٢٨٦).
(٥) معجم البكري (١/١٣٤).
(٦) الحيوان (٢/١١٢).

الروايات:
أورد البكري البيتين الأول والخامس في صفحة واحدة غير متوالين، وذكر الجاحظ البيت السادس مفرداً، وإيراد هذه الأبيات بعد الثلاثة المجتمعات ترجيح ظني وليس قطعاً. إنَّنا نعلم أنَّ وحدة البحر والقافية لا تخوّلنا حقّ ضم المتفرق بعضه إلى بعض من غير دليل مادي يقطع بوحدة الأصل، ولكنَّا وجدنا من الأسباب المرجحة:

- إيراد البيتين الأول والخامس متقاربين في موضع واحد من معجم البكري مما يشير إلى أنّه كان ينقب في قصيدة لزيد الخيل عن محل شاهده وإن فرّق بين البيتين وفق حاجة الاستشهاد.
- ما ذكره البكري من مناسبة البيت الخامس إذ قال: «وكانت بنو عامر أغارت على طيء، فنذرت بهم، فاقتتلوا، فظهرت عليهم طيء، فقال... : فكان في إيراد هذه المناسبة ما يبعث على الظن أن الأبيات الثلاثة الأولى مقدمة تقليدية لقصيدة تنظم في حدث له أهميته، وأن البيت الرابع ـ شاهد ابن فارس ـ هو من هذه القصيدة.
- موافقة معنى البيت السادس للمناسبة إذ يذكر فرار العدو وفزعه في الصحراء بتشبيههم بالنّعامِ، فهو تتمة معنوية، وضمير العاقلين في «كأنهم» دليل على موضوع التشبيه.

وجعلنا بين الأبيات فواصل دليلاً على الضمّ الترجيحي.

(١) في رواية البكري: «ذو أَرَب» ضبطه بفتح أوله وثانيه.

اللغــة:

(١) «السليل، وذو أوب»: موضعان في ديار طيّء، وقدُمت: تقادم عليها الزمن.

(٢) القَلَع: ج. قَلَعَة: السحابة الضخمة كالجبـل تأخذ جانب السماء، وتزجّر السحاب: ألقى حمولته من المطر، والغوادي: السحب، والأنيس: القوم وكلُّ ما يؤنس به.

(٤) عامر: قبيلة بني عامر، «قوله: بكاً: نقص، وأصله الهمز، من بكأت الناقة إذا قلَّ لبنها» (معجم مقاييس اللغة: ١/٢٨٦).

(٥) الصفا: الصخر، و«أُراق»: موضع بين بلاد طيء وبلاد بني عامر. (معجم البكري: ١/١٣٤)، والفلّ: المنهزمون من القوم والجمع فلول. ومعنى البيت: تجمعت فلولُهم المنهزمة عند صفا أراق.

(٦) القـاع: بطن الـوادي، وأُصُلاً ـ وخُفّف ـ ج. أصيـل: العشيّ قبيل الغروب، و«قالص عنه الظُّلول» في العـراء لا يسترها ظلّ.

الفرس الأسير

(٣٠)

ظفرت بنو أسد بفرس لزيد الخيل فقال يتطلبه منهم:

١ ـ يا بَني الصَّيْداءِ رُدّوا فَرَسي
إنَّما يُفْعَلُ هذا بالذّليلْ

٢ ـ لا تُذيلُوهُ فإنّي لَمْ أكُنْ
يا بَني الصَّيْدا لِمُهْري بالمُذيلْ

٣ ـ عوِّدوهُ كالَّذي عَوَّدتُه
دَلَجَ الليلِ وإيطاءَ القَتيلْ

٤ ـ واسْتباءَ الزِقِّ من حَانَاتِه
شَائِلَ الرِّجْلَيْنِ مَعْصوباً بمِيلْ

٥ ـ أَحْمِلُ الزِقَّ على مَنْسَجِه
فيَظلُّ الضَّيْفُ نَشْواناً يَميلْ

التخريج:

(١ ـ ٥) الأغاني (١٧/ ١٧٣).

(١ و٣) الحماسة البصرية (١/ ٧٧)، وسرح العيون (٦٦ ـ ٦٧)، وأمالي القالي (١/ ١٢).

(٢ و٥) سمط اللآلي (٥٩ ـ ٦٠).

اختــلاف الروايــات:

(١) في الحماسة البصرية: «.. إنّما تؤخذ أفراس الذَّليل»، وفي سرح العيون: «إنّما يصنع . . .».

(٢) في سمط اللآلي: «. . . يا بني الصيد لمهري بمذيل».

(٣) في الحماسة البصرية: «إنّه مهري وقد عودته . .»، وفي سرح العيون: «عوّدوه بالذي . . .»، وفي أمالي القالي: «. . . مثلما عودته . . .».

اللغــة:

(١) بنو الصيداء: هم من ولد عمرو بن قُعَيْن، أسديون، منهم رجال مرموقون في الجاهلية، قال ابن حزم: «ولبني الصيداء بطون جمة» (الجمهرة: ١٩٥)، وكان زيد الخيل كثير الغزو للأسديين.

(٢) «لا تذيلوه»: لا تهينوه بحبسه لديكم عني.

(٣) «دَلَج الليل»: سير أوله، ويروى: «دُلَج: ج. دُلْجة، إيطاء القتيل: أن يطأ بحوافره القتلى كناية عن خوض المعارك به.

(٤) الزِقّ: سِقاء من جلد النعم يوضع فيه الخمر، واستباؤه: شراؤه. وشائل الرجلين، يريد موضع الرجلين من الزق: قد جفتا وتقلصتا. كمن قَلَص برجليه إلى جذعه. والميل: المُلْمول، عود من خشب أو غيره، أي جعل في موضع الوكاء يُلَفُّ عليه كالعصابة.

(٥) المَنْسِجُ من الفرس أسفل من حاركه، ونشوان: سكران.

جيش اللهـازم

(٣١)

أعان زيد تميماً في غزاة لهم، وسيدهم قيس بن عاصم، على بني عجل واللهازم حتى انتصروا، ولما طلب نصيبه من الغنم أبى عليه قيس بن عاصم، فقال زيد:

١ ـ أَلَا هَلْ أَتَاهَا والأَحَادِيْثُ جمَّـةٌ
مُـغَلْغَـلَةٌ أَنْبَـاءُ جَـيْشِ اللَّهــازِمِ

٢ ـ فلستُ بوقّافٍ إذَا الخيلُ أحْجَمتْ
ولستُ بكذّابٍ كقَيْسِ بنِ عاصمِ

٣ ـ تخبِّرُ من لاقيتَ أنْ قد هَزَمْتَهم
ولم تَـدْرِ مـا سيمــاهُمُ لَا وعَـائمِ

٤ ـ بَلِ الفَارِسُ الطّائيُّ فضَّ جُموعَهم
وَمَكَّةَ والبيتِ الـذي عنــدَ هَـاشِمِ

٥ ـ إذَا ما دَعَوْا عِجْلاً عَجَلْنَا عَلَيْهِمُ
بِمَـأْثُوْرَةٍ تَشْفِي صُـداعَ الجَمـاجِمِ

التخـريـج:

الأغاني (١٧/١٩٣ ـ ١٩٤).

اللغـة:

(١ ـ ٢) «والأحاديث جمة»: كثيرة يختلط صادقها بكاذبهـا، و«مغلغلة»: رسالة، و«أنباء»: بدل منها، و«جيش اللهازم»: جيش عدة بطون، وفي

الصحاح (لهزم): «تيم الله بن ثعلبة بن عكابة يقال لهم: اللهازم، وهم حلفاء بنِي عجل»، وفي اللسان: «اللهازم: عجل وتيم اللات وقيس بن ثعلبة وعَنَزَة»، و«قيس بن عاصم»: زعيم تميم.

(٣) «ولم تدر ما سيماهم»: لم تلقهم ولم تعرِف وجوههم، و«عائم»، كما قال الجوهري: صنم لهم (عوم)، و«لاقيتُ» بضمير المتكلم، أيٍ: من نازلته أنا وغلبته، وبالمخاطب: من تلاقيه من الناس فتحدثه كذباً.

(٥) مأثورة: سيوف مأثورة، وسيف مأثور في متنه أُثْر، وهو الفرند، وفي اللسان: «قيل: هو سيف يعمله الجن» (أثر)، و«عجل»: من بكر بن وائل.

السيف للشدائد

(٣٢)

قال يذكر وقائعه في بني تميم وإيقاعه برجال منهم:

١ ـ سائلْ فوارسَ يَرْبوعٍ بِشِدَّتنا
أَهَل رَأَوْنا بسَفْحِ القاعِ ذي الأَكَمِ

٢ ـ أمْ هَلْ تَركْتُ نَهيكاً فيه نافذةٌ
قَلّاسَةٌ تُنْفِدُ الطُّلّاءَ بالغَذَمِ

٣ ـ والحَارِثَ بنَ شِهَابٍ عند مُعْتَرَكٍ
رَهْنَ المُقامةِ للعَرْجاءِ والرَّخَمِ

٤ ـ إنّا كذلك إذْ ما أَزْمَةٌ أَزَمتْ
نَعْصى بكلِّ رَقيقٍ حدُّه، خَذِمِ

٥ ـ وكلِّ مُشْتَرِفٍ نَهْدٍ وسَلْهَبةٍ
يُقْدَعْنَ عِنْدَ اعتراك القوم باللُّجُمِ

التخريج:

(١ ـ ٥) شرح أبيات المغني للبغدادي (٧٢/٦).
(١) الخزانة (٥٠٦/٤)، والخصائص (٤٦٣/٢)، والمقتضب (٤٤/١).

اختلاف الروايات:

في الخصائص: «بشِدَّتها»، و«بسَفْحِ القُفِّ»: في المقتضب، وهي رواية الديوان كما ذكر البغدادي في شرح أبيات المغني.

اللغــة:

(١ ـ ٣) يربوع: أبو حيّ من تميم، و«الشّدّة»: بفتح الشين أو كسرها: الحملة. و«القاع»: المستوي من الأرض، و«الأكم»: جمع أكمة: ما ارتفع من الأرض، وسفح الجبل: أسفله، و«القُفّ» ـ برواية الديوان ـ: حجارة غاص بعضها في بعض لا يخالطها سهولة، «أمْ»: للإضراب، و«نَهيك»: رجل من بني يربوع، و«نافذةٌ»: طعنة نافذة، و«قَلاَّسَة»: قال البغدادي: قال جامع ديوانه: تقذف بالدم، وبحر قلاس: زخار»، تُنْفِدُ: أنفد الشيء: أفناه، والطُلاّء: الدم، و«الغذم»: هو السيلان، نقلها البغدادي عن شارح ديوان زيد الخيل وقال: «وليس في القاموس هذا المعنى»، ونقل الزبيدي هذا المعنى في التاج ـ غذم ـ عن البغدادي. والحارث بن شهاب: بالنصب عطف على نهيك، وهو فارس يربوعي، والمُعْتَرك: محل الاعتراك، رهن المُقامة: مقيم، و«العرجاء»: الضَّبعُ، والرَّخَم: طائر يقع على القتلى.

(٤ ـ ٥) الأزمة: الشدة، وأَزِم يأزَم وأَزَم يأزِم: اشتد، نَعْصَى مضارع عَصِي بسيفه إذا ضرب به، وخَذِمٍ: قاطع، صفة رقيق: سيفٍ رقيقٍ خذم، و«حده» فاعل رقيق. و«كلِّ مشترف»: عطف على «بكل رقيق» في البيت السابق: وفرس مشترف: مشرف الخَلْق: مرتفعه. والفرس النهد: الحسن الجسم المشرف، والسلهب والسلهبة: ما عظم من الخيل وطالت عظامه، و«يُقْدَعْنَ»: يُكْبَحْنَ، و«اللجم»: جمع لجام.

يـوم سبْـي

(٣٣)

وقال في غزوة غزا بها بني مرة من ذبيان:

١ ـ ألَا هَلْ أَتى غوثاً وَرومانَ أننـا
صَبَحْنا بني ذُبيانَ إحْدَى العَظَائِمِ

٢ ـ وسُقْنـا نساءَ الحيِّ مُـرّةَ بالقنـا
وبالخيلِ تَرْدي قد حَوَيْنا ابنَ ظَالِمِ

٣ ـ جَنيباً لأعضادِ النـواجي يَقُدْنَـه
على تَعَبٍ بينَ النَّـواجي الرَّواسمِ

٤ ـ يقولُ: اقبلوا مني الفِداءَ وأَنْعموا
عليَّ وجُـزّوني مَـكـانَ القَـوادِمِ

٥ ـ وقد مسَّ حَدُّ الرُّمْحِ قُوّارةَ اسْتِه
فَصارَتْ كشِدْقِ الأَعْلمِ المُتَضاجِمِ

٦ ـ وسائل بنا جارَ ابْنِ عَوْفٍ فقد رأى
حليلَتَـه جـالت عليهـا مَقـاسِمي

٧ ـ تُلاعِبُ وِحْدانَ العَضاريطِ بَعْدَما
جـلاهـا بسَهْمَيْـه لقيطُ بنُ حـازمِ

٨ ـ أَغرَّكَ أنْ قيلَ ابنُ عوفٍ وَلا أرَى
عَـزيمَـك إلَّا واهيـاً في العـزائمِ

٩ ـ غداةَ سَبَيْنا من خَفاجةَ سَبْيَها
وَمَرّتْ لَهُم مِنّا نُحوسُ الأَشائِمِ
١٠ ـ فمن مُبْلِغٌ عَنّي الخَزارِجَ غارةً
على حَيٍّ عَوْفٍ مُوجفاً غيرَ نائِمِ

التخريج:

الأغاني (١٧/١٨٧).

اللغة:

(١ ـ ٣) الغوث: هي طيء، وروما من بطونها، وبنو ذبيان من غطفان وبنو مرة غطفانيون، و«تردي»: تعدو، «قال الأصمعي: إذا عدا الفرس فرجم الأرض رجماً قيل: رَدَى يَرْدي رَدْياً ورديانا» (اللسان: ردى)، وابن ظالم: هو الحارث بن ظالم أحد أشداء العرب وفتاكهم. والنواجي: جمع ناجية: الناقة السريعة، والرواسم جمع رسوم، وناقة رسوم إذا كانت تؤثر في الأرض من شدة الوطء. والأعضاد جمع عضد، و«جنيباً لأعضاد النواجي»: مشدود إليها بالحبال.

(٤ ـ ٥) وجزوني مكان القوادم: جزوا ناصيتي، والأعلم: الجمل، والشدق: واحد الشدقين وأراد الفم، والمتضاجم: المائل الفم.

(٦ ـ ٧) الحليلة: الزوج، و«جالت عليها مقاسمي»: ضربت عليها السهام عند اقتسام الغنائم، وجلاها بسهميه: حازها لقيط بن حازم في نصيبه. والعضاريط جمع عضروط وعُضْرَط: الخادم على طعام بطنه.

(٨ ـ ١٠) العزيم: العزيمة، و«نحوس الأشائم»: على تقدير حذف مضاف إليه والتقدير نحوس الطيور الأشائم، يقال: طائر وطير أشأم: جار بالشؤم. والخزارج هم الخزرج جمعهم على خزارج وغارة على تقدير مضاف: خبر أوصيت غارة، وموجفاً: مغيراً عليهم بخيل وإبل سريعة، قال تعالى: (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب).

يـوم محجِّـر

(٣٤)

كانت بلاد قيس عيلان مماسة لديار طيء، والوقائع بينهم سجال، وكان زيد الخيل لا يفتأ يردد مفتخراً ما ألحق بهم من الهزائم، ومن ذاك هذه الأبيات:

١ ـ نحنُ صَبَحْنـاهمْ غَداةَ مُحَجِّـرٍ
بـالخيـلِ مُحْقَبَـةً عَلَى الأَبْـدَانِ
٢ ـ نُـزْجي المَطِيَّ مُنَعَّـلاً أَخْفافُهـا
والـجُـرْدَ مُـرْسَلَةً بِـلاَ أَرْسَـانِ
٣ ـ حتّى وقعْنـا في سُلَيْمٍ وَقْعـةً
في شـرٍّ ما يُخْشَى من الحِـدْثـانِ
٤ ـ فَاسْأَلْ غُـرابَ بني فَزارَةَ عنهم
واسأَلْ بنا الأَحْـلافَ من غَطَفـانِ
٥ ـ واسـأَلْ غَنيّاً يـومَ نَعْفِ مُحَجَّرٍ
واسـأَلْ كِـلابـاً عن بَني نَبْهـانِ
٦ ـ نَـرْمي بهنّ بغَمْـرةٍ مكـروهـةٍ
حـتَّى يَـغِبْـنَ بِـنَـا إلَـى الأَذْقـانِ

التخريـج:

(١ ـ ٦) معجم البلدان: (مُحجّر).

اللغـــة:

(١) صبحناهم: أغرنا عليهم في الصباح، ومحجّر مكان، والتقدير: غداة يوم محجّر. ومُحْقَبَة: من الحَقَب وهو حزام أو حبل يشد به الرَّحْل أو السَّرْج في بطن المطيّ، ومعنى «محقبةً على الأبدان»: امتطاها فرسانها عريانة الظهور فكانت أرجلهم كالحقب أو الحزام لها، ويؤيد هذا المعنى قوله بعده (والجُرْدَ مرسلةً بلا أرسان).

(٢) نُزْجي: نسوق وندفع، والمطيّ: الإبل؛ مُنعَّلاً أخفافها، أُلْبست أخفافُها ما يقيها من كثرة السير، والجُرْد: جمع أجرد، وهو الفرس القصير الشعر والسَبَّاق.

(٣ ـ ٥) حِدْثان الدهر: نوبه وحوادثه، و «سليم»: وهم أبناء عكرمة بن خصفة ابن قيس عيلان، وهم قبيلة كبيرة ذات بطون، و «فزارة»: هم من ذبيان ابن بغيض بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان، و «غنيّ»: هم بنو عمرو ابن أعصر بن سعد بن قيس عيلان، وغطفان: هم بنو غطفان بن سعد بن قيس عيلان، قبائل وبطون وأفخاذ كثيرة. انظر جمهرة أنساب العرب (٢٤٧ ـ ٢٥٥)، وكلاب هم ولد ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن. . . بن قيس عيلان (المصدر نفسه: ٢٧٢ ـ ٢٨٠).

(٦) الغمرة: الشدة، يريد حومة معركة كبيرة شديدة، من «الغمر» وهو الماء الكثير، وقوله: «يغبن بنا إلى الأذقان» دالّ على الصورة وأصل المعنى، والباء في «بغمرةٍ» بمعنى «في» ومرجع الضمير إلى الخيل في «يَغبْنَ».

علىٰ الأطلال

(٣٥)

هذه الأبيات من مقدمة تقليدية لقصيدة ذهبت عنا:

١ ـ عَفتْ أُبْضَةٌ من أهْلِهَا فالأَجاوِلُ
فَوَادِي نُضَيْضٍ فالصَّعيدُ المُقابِلُ

٢ ـ وذَكّرنيها بَعْدَما قَدْ نَسيتُها
رَمادٌ ورَسْمٌ بالشَّبابةِ ماثِلُ

٣ ـ فبُرْقَةُ أَفْعىٰ قد تَقادَمَ عهدُها
فما إنْ بِهَا إلاَّ النِّعاجُ المَطافِلُ

٤ ـ تمشّىٰ بِهِ حَوْلَ الظِّبَاءِ كَأَنَّها
إِمَاءٌ بَدَتْ عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ حَوَامِلُ

التخريج:

(١ ـ ٤) معجم البلدان: (الثُّتانة).

(١ ـ ٣) معجم ما استعجم (١/٩٧)، ومعجم البلدان: (بضيض).

(١ و٣) معجم البلدان: (برقة أفعىٰ).

(٣) معجم ما استعجم (١/١٧٧).

اختلاف الروايات:

(١) الشطر الأول من البيت الأول نسبه البكري ـ أيضاً ـ إلى حاتم طيّء (٢/١٠٣٥)، وفي معجم البلدان: «فجنبا بُضيض».

(٢) في معجم البلدان: «ورسم بالثّتانة»، وهذه الرواية أوجه، لأن الشبابة

موضع من نواحي مكة، كما سيأتي. قال ياقوت: ويروى «الثيانة» وكل من الروايتين جاءت في قول زيد الخيل وأنشد الأبيات (١ ـ ٤)، وترتيب البيت في معجم البلدان (بضيض) بعد الثالث.

(٣) هو ثاني البيتين في معجم البلدان (برقة أفعى)، و«بضيض»، بدل: «نضيض» في الموضعين منه، و«ليس بها إلا النعاج»، بدل: «فما إن بها إلا النعاج».

اللغــة:

(١) أُبْضَة بضم الهمزة وكسرها معاً: ماءة من مياه فيد لبني ملقط من طيّء. والأجاول ونضيض من بلاد طيّء. والصعيد التراب، ووجه الأرض؛ ويريد ما ارتفع منه مما قابل الوادي.

(٢) الشبابة: موضع من نواحي مكة، قاله ياقوت: (شبابة)، ماثل: باق.

(٣) «أفعىٰ: على لفظ واحدة الأفاعي: موضع في ديار طيء، تُنْسبُ إليها برقة أفعى (البكري: ١/١٧٧). نعاج الرمل البقر الوحشي، الواحدة نعجة. والمطافل واحدتها مُطْفِـل وهي، من الإنس والوحش، ذات الطِفْل. و«إن» زائدة بعد «ما».

(٤) الظباء: ج. ظبي وظبية، قال في المصباح (ظبي)؛ الظباء: جمع يعم الذكور والإناث، مثل سهم وسهام... قال أبو حاتم: الظبية: الأنثى وهي عنز وماعزة، والذكر ظبي ويقال له تيس، وذلك اسمه إذا أثنى، ولا يزال ثنياً حتى يموت. ظهر غيب: قال في اللسان/ ظهر/؛ والظهر: فيما غاب عنك؛ وقال لبيد:

وتسمَّعت رِزَّ الأنيسِ فَرَاعَها عن ظهرِ غَيْبٍ والأنيسُ سَقَامُها

قال ابن الأنباري في السبع الطوال عند شرح بيت لبيد ص ٥٦٥: عن ظهر غيب، معناه: من وراء حجاب.

(٣٦)

قال في غزوة له في بني أسد:

١ ـ نجّا سَلامةَ والرِّماحُ شَواجِرٌ
دَعْواهُمُ دَعْوىٰ بني الصَّيْداءِ

٢ ـ لَوْلَا ادّعاؤُهُمُ بِدَعْوَى غَيْرِهِمْ
وَرَدَتْ نِسَاؤُهُمُ عَلَى الأَطْواءِ

التخريج:

الحماسة البصرية (١/٧٧).

اللغة:

«سلامة»: هم سلامة بن سعد بن مالك: بطن من بني أسد، وبنو الصيداء بطن من بني أسد، (انظر جمهرة أنساب العرب: ١٩٥)، وديارهم قريبة من ديار زيد الخيل، و«الرماح شواجر»: متشابكة طعاناً، شجره بالرمح: طعنه، و«دعواهم»: فاعل «نجّا»، و«دعوى»: مفعول مطلق العامل فيه «دعواهم»: نَجَوا من الموت أنْ كتموا حقيقة أنفسهم وانتحلوا اسم غيرهم كما فعل من قبل بنو الصيداء. و«الأطواء»: بلدة في اليمامة، واليمامة حاضرة نجد أي لولا ذاك لاضطُّرت نساؤهم للنزوح إلى ذاك المكان البعيد.

(٣٧)

قال يفخر بما عليه قومه من الإيثار:

١ ـ نَصُولُ بكلِّ أبْيَضَ مَشْرَفِيٍّ
عَلَى اللَّاتي بَقَى فِيهِنَّ ماءُ

٢ ـ عَشِيَّة نُؤثِرُ الغُرَبَاءَ فِينَا
فَلاَهُمْ هَالِكُوْنَ وَلَا رِوَاءُ

التخريج:

أمالي القالي (١/١١٧).

اللغة:

«اللاتي بقى فيهن ماء»: هي الإبل التي ما زال في كروشها بقية ماء وبقى: بقي في لغة طيء، والرواء: الريّ، أي: نقتظ بطون الإبل ونؤثر من نزل بنا على أنفسنا بما في جوفها من ماء فلا يهلكون عطشاً ولا يجدون رياً شافياً.

(٣٨)

وقال يفخر بما أوتي من حميَّة وحفاظ:

١ ـ ولمَّا دَعَاني الخَيبريُّ أجبتُه
بأبيض من ماءِ الحديدِ صَقِيْلِ

٢ ـ وَمَا كُنْتُ ما اشْتَدَّتْ عَلَى السَّيفِ قَبْضَتِي
لأُسْلِمَ مِنْ حُبِّ الحَيَاةِ أَكِيْلِيْ

التخريج:

حماسة البحتري (٥٨).

اللغة:

الخيبري: نسبة إلى خيبر، لعله أحد يهودها، وماء الحديد: من حديد صاف صفاء الماء، وصقيل: مجلو، والأكيل: الجليس على الطعام: يريد تحرّم الرجل بزاده وطعامه فلا يسلمه.

(٣٩)

قال يذكر وفادته على سيد تميم قيس بن عاصم:

١ - أَلَا هَلْ أَتَى غَوْثَاً وَمَازِنَ أَنَّني
حَلَلْتُ إِلَى البِيْضِ الطِوَالِ السَّواعِدِ

٢ - إِلَى الوَاحِدِ الوهّابِ قيسِ بنِ عاصمٍ
لَهُ قادِحَا زَنْدَيْ سِنَانِ بنِ خالِدِ

التخريج:

النقائض (٢/٧٥٢).

اللغة:

الغوث أب من آباء طيء، ومازن هو مازن بن أدد بن الغوث، فهم بطن من الغوث، ونبهان قوم الشاعر بطن من الغوث أيضاً. قيس بن عاصم سيد بني تميم، والواخد: السريع، الواسع الخطو، والوهّاب: مبالغة، الكثير الفواضل السمح الفياض. وقدح الزند: أورى. وسنان بن خالد: والد قيس ابن عاصم.

(٤٠)

أُمامُ أَمَا تَخْشَيْنَ بنت أبي نصر
فَقَد قَامَ بالأمرِ الجَليِّ أبو بَكْرِ
نَجِيُّ رسولِ اللهِ في الغارِ وَحْدَهُ
وَصَاحِبُهُ الصدِّيقُ في مُعْظَمِ الأمْرِ

التخـريـج:

تهذيب ابن عساكر (٦/٣٥)، والإصابة (٥٥٥ ـ ٥٥٦)، ترجمة (٢٩٤١).

اختلاف الروايات:

في الإصابة: «إمامَ...».

التعليق:

يعزى إليه أن قال هذين البيتين في الردة وبعث بهما إلى أبي بكر رضي الله عنه، والأشهر أن زيد الخيل مات منصرفه من المدينة في حياة رسول الله ﷺ ولم يدرك خلافة أبي بكر، ولعل البيتين لبعض ولده الذين شاركوا في حروب الردة وكانوا في جيش خالد بن الوليد رضي الله عنه.

(٤١)

١ ـ فَلَيْتَ أبَـا شُرَيْـحٍ جَارَ عَمْـروٍ
حَـيـا عَـوْفُ وغَـيَّـبَـه الـقُـبـورُ
٢ ـ وَمَـا دَهْرِي بشَتْمِـكَ فَـاْعْلمَنْـهُ
ولـكـنْ أنـتَ مَـخْـذولٌ كَـبِـيْـرُ

التخريـج:

(النوادر في اللغة: ٨٠).

اللغــة:

(١ ـ ٢) «حيا» قال أبو زيد: «أراد: حَيِيَ عوف»، وفي اللسان: «يقال: حيّ وحَيِي يحيى»، أي: ليت عوفاً عاش وليت أبا شريح مات. وما دهري بشتمك: ما شأني وعادتي بذاك، ولكن سوء طالعك جعلني أهجوك.

(٤٢)

١ ـ يا نَصْرَ نَصْرَ بَني قُعَيْنٍ إنَّما
أَنْتُم إمَاءٌ يَتَّبِعْنَ الأشْتَرَا

٢ ـ يَتْبَعْنَ فَضْلَةَ أيْرِ كَلْبٍ مُنْعِظٍ
عَضَّ الكِلابُ بعَجْبِه فاستثفرا

التخريج:

(١ ـ ٢) الحيوان (٣٠٧/٢) تحقيق عبد السلام محمد هارون.

(٢) المعاني الكبير (٢٣٢).

اختلاف الروايات:

(٢) في المعاني الكبير: «نضلة».

اللغة:

نصر بني قعين: بطن من قبيلة أسد. الإماء: العبيد من النساء، والأشتر: قال في اللسان: «الأشتر: البَيِّن الشتر، وهو انقلاب جفن العين قلما يكون خلقة» (شتر)، وشترت بالرجل تشتيراً: تنقصته وعبته (الصحاح). وشتره: جرحه. وتدور معاني الكلمة حول النقص والعيب والذم، فلعله يريد بالأشتر في البيت المتسَفِّل الخُلُق. وفضلة الشيء: بقيته، أي: ما فضل منه، ما ظهر، وإن كانت «نضلة» فهي ما ينتضل به من سهم. والعَجبُ: أصل الذنب وهو العظم في أسفل الصلب عند العجز. واستثفر الكلب: أدخل ذنبه بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه.

(٤٣)

قال ـ زعموا ـ في غزاة له لبني تغلب قتل فيها رئيساً لهم يُسمّى الجرّار:

١ ـ صَبَحْتُ حيّ بني الجرَّارِ داهيةً
مَا إنْ لتغلبَ بَعْدَ اليومِ جَرَّارُ

٢ ـ نحوي النهابَ ونحوي كلّ جارية
كأنّ ثُقْبَتَها في الخدِّ دينار

التخريج:

الأغاني (١٧/ ١٨٥).

التعليق:

قدّم أبو الفرج للبيتين بقوله: «قال أبو عمرو: كان لتغلب رئيس يقال له الجرار، وأدرك النبي ﷺ، وأبىٰ الإسلام، وامتنع منه، فيقال: إن رسول الله ﷺ، بعث إليه زيد الخيل وأمره بقتاله، فمضى زيد فقاتله فقتله لما أبى الإسلام، وقال في ذلك: البيتين. . .»، والمشهور الأصح أن زيد الخيل لم تطل به الحياة لغزو في الإسلام وأن المنية أدركته غب منصرفه عن المدينة في «فردة» ولم يدرك منزله وأهله. وليس في البيتين من رَوْحِ الإسلام وسمو الجهاد أثارة. ولعل المناسبة مختلفة أو أن المناسبة والشعر معاً من صنع الرواة والوضاع قد نُحلا لزيد الخيل.

اللغة:

الثقبة في الخد: الرونق والتورد، ثقبت النار: اتقدت في صفاء من غير دخان، ومنه «شهاب ثاقب».

(٤٤)

قال في خلافات وقِصَاصٍ فيما بين قبائل طيّء:

١ ـ قَضَتْ ثُعَلُ ديناً ودِنًّا بمثله
سَلامَان كيلاً وازناً ببوازنِ

٢ ـ فَأَمْسَوا بني حرٍّ كريمٍ وأصبحوا
عبيدَ عنين رغم أنفٍ ومارِنِ

التخريج:

(١ ـ ٢) معجم البلدان: (بوازن).

اللغة:

ثُعَل هم ولد عمرو بن الغوث بن طيء، قال ابن حزم: «وفيهم البيت والعدد» (الجمهرة: ٤٠٠)، وسلامان ولد ثُعَل هؤلاء، وثعل أبناء عم لحاً لبني نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيّء، قوم زيد الخيل، و«بوازن»: موضع، والباء الجارة للاسم ظرفية بمعنى «في»: «فأمسوا... وأصبحوا...» فعلان تامان بمعنى دخل في المساء والصباح وما بعدهما «بني» و«عبيدَ» حال، ومارن الأنف: قصبته، وهو موضع العزة والشمم، وعطف الجزء على الكل أشبه بعطف المرادفات، من قبيل التوكيد. و«عنين» هم بنو سَلامان بن ثُعَل. وهذان البيتان في حروب طيّء فيما بينها بدلالة أسماء القبائل والبطون.

(٤٥)

١ ـ وأَحْلَلْتُكُمْ من لُبْنَ داراً وخيمةً
وكُنْتُم بأطرافِ القَنانِ بمرْتَعِ

٢ ـ فَخَرْتُم بأشْياخٍ أُصيبوا بخنعةٍ
وتَنْسَوْنَ شباناً أُنِيْمُوا بضَلْفَعِ

التخريج:

معجم ما استعجم (١١٤٩/٤).

اللغة:

«لُبْنى»: قال البكري: «حرة في رسم النير، وقيل: لُبْنَ: جبل، معرفة مؤنثة لا تدخلها الألف واللام وهي غير لبنى وهي مذكورة في رسم سرد وحمير»، والقَنان: جبل بديار غطفان ذكره زهير في معلقته. و«مرتع»: محل رتوع ورغد، و«وخيمة» ووخمة: غير طيبة المناخ ولا النبت. و«الخنعة»: العذرة، ولعله اسم موضع. و«أنيموا»: أصيبوا مقتلاً، و«ضَلْفع»: موضع، يقول: «تفخرون أنكم قتلتم بضعة أشياخ منا غدراً وتنسون أنا قتلنا بهم شباباً منكم».

(٤٦)

١ ـ وأَقْفر منها الجوُّ جوُّ قُراقِرٍ
وبُدِّلَ آراماً مَذانِبُها السُّفْلُ

التخريج:

معجم ما استعجم (١٠٥٧/٣).

اللغة:

«الجو»: ما انخفض من الوادي واتسع، و«قُراقِر»: موضع في ديار كلب، و«مذانبها»: ج. مَذْنب: آخر الوادي.

(٤٧)

١ ـ تكسَّبْتُها في كلِّ أطْرافِ شدّةٍ
إذَا اقرمّطت يومَاً من الفَزعِ الخُصَى

التخريج:

اللسان (٢٥٢/٩) قرط.

التعليق:

لعله هو البيت التاسع من القصيدة الأولى، وهو هناك بلفظ مختلف:

وذاك عطاء الله في كل غارة   مشمرة يوماً إذا قلَّص الخصىٰ

اللغة:

اقرمّطت: من القرمطة وهي التقبّض والتجمع، واقرمَّطت: تقبّضت، والضمير في تكسّبتها يعود إلى الإبل والأنعام التي يغنمها غزواً.

(٤٨)

عـلى هَـطّالهـم منـهـم بُـيـوتٌ
كـأنَّ العَنْكبـوتَ هـو ابْـتَنـاهَـا

التخـريـج:

اللسان (١٤/٢٢٣) هطل.

اللغـة:

«الهطّال» في بيت زيد الخيل: اسم جبل، يهجو أصحابه بالضعف وفقدان المنَعَةِ.

(٤٩)

كـأن الـرّجـالَ التَّغْلِبيّينَ خَلْفَهـا
قَنـافـذُ قَفْصىٰ عُلِّقت بـالحَقـائبِ

التخـريـج:

اللسان (قفص)، والمعاني الكبير (٦٥٦).

اختـلاف الروايـات:

في المعاني الكبير: كأنّ رجالَ. . .   . . . قُفْصٌ. . . ».

اللغـة:

«قفص قفصاً فهو قفص: تقبّض وتشنج. . وقفصىٰ جمع قَفِص مثل جَرِبٌ وجربى» (اللسان). وقال ابن قتيبة: «قُفَّصٌ منضخّة: يريد أنهم قد أسروا».

(٥٠)

وآل عـروة فـي قتـلاكـم عَلمـاً
تنفي الثعالبَ عنهـم ركضةُ السَّاقِ

التخـريـج:

(المعاني الكبير: ٩٢٦).

المعنـى:

قال ابن قتيبة: «يقول: هم قتلى قد وقعت عليهم الثعالب تأكل منهم فإذا حركت الساق على الخيل تنحت عنهم».

(٥١)

١ ـ وأَعْرَضْنَ عنّي في اللِّمام كما أَبَتْ
حِيـاضَ الإِمِدّانِ الـرِّواءُ القَـوامِـحُ

التخريـج

معجم ما استعجم (١٩٢/١).

اختـلاف الروايـات

ورواه البكري أيضاً في (١٤٨/١):

فأَصْبَحْنَ قد أَقْهَيْنَ عنّي كما أَبَتْ حِيـاضَ الإِمدّانِ الـظِّماءُ القَـوامِحُ

ونسبه تاج العروس إلى زيد أو أبي الطمحان القيني يذكر نساءً، وفيه «الهجان» بدل «الظماء» و«أنت» بدل «أبت».

اللغـة

«الإمدان الماء الملح والنزّ علىَ وجه الأرض، أو هو ماء معروف في

البادية (البكري)، «أقهين عني» أعرضن عني إعراضهن عن طعام عافته نفوسهن. واللمام: اللقاء؛ ألَمّ بالمكان: نزل به و«القوامح»: الكارهة للماء لأية علة. و«رِواء» جمع ريّان وريّا. ورواية «الظّماءِ» ذات وجه، فالإبل على ظمئها اجتوت الماء لملوحته، وهو أبلغ في تصوير الإعراض عنه. قلت: وهذا البيت أشبه أن يكون قائله أبو الطمحان القيني فقد عاش دهراً وَأَسَنّ، أما زيد الخيل فكان له من الفتوة والوسامة حظ مذكور، وأغلب الظن أنه مات قبل أن يهرم.

(٥٢)

أَتَـاني أنَّهـم مَـزِقُـوْنَ عـرضي
جِحـاش الكِرْمَلَيْنِ لهم فـديـدُ

التخريـج

معجم ما استعجم (١١٢٥/٤) وانظر حاشية المحقق على المقتضب (١١٦/٢)

التعليـق

قال البكري: «الكرملان؛ تثنية كرمل: ماء لبعض طيء، وهم رهط حاتم، قال زيد الخيل (البيت)... . ثم قال فيه:

فسيري، يا عديُّ، ولا تراعي فحليّ بين كرمل والوحيد

وكلام البكري يوهم أن البيتين من قصيدة واحدة، وما أحسب ذلك فإن الضمير المجرور في قوله «ثم قال فيه» يعود إلى المكان، و«ثم» تفيد التراخي والتباعد، ولذلك لم ألحق البيت الأول بالأبيات الدالية التي منها البيت الثاني، وحركة الروي فيه الرفع وهي في الأبيات الجر، وعلى أن الإقواء مما يكون في شعر الجاهليين غير أنا لا نملك الدليل المرجح.

اللغـة

الفديد: الصوت، ورجل فدّاد: شديد الصوت (الصحاح).

(٥٣)

كـأن شُـرَيْحـاً خـرَّ من مُشْمَخِـرَّةٍ
وجَاريْ شُرَيْحٍ من مُواسِل فالوَعِرْ

التخريـج

معجم ما استعجم (١٢٧٦/٤).

اللغـة

مُواسِل: ذكر البكري أنه جبل لطيء عند ماء الريان، وقال ياقوت «اسم قنة جبل «أجأ» وهو أحد جبلي طيء. و «الوعر» موضع. وشريح: علم.

(٥٤)

إذَا وَقَعَتْ في يومِ هَيجا تَتَـابَعَتْ
خُروجَ القواري الخضر من خَلَلِ السَّيْلِ

التخريـج

المعاني الكبير (٤٢)

اللغـة

قال ابن قتيبة: القواري واحدتها قارية وهي طير. شبه الخيل بها في السرعة وهي تبادر إلى أوكارها». وقال محقق «المعاني الكبير»: «كذا وأراه السَّبل بفتح الموحدة، وهو المطر، وفي القاموس: القارية «طائر إذا رأوه استبشروا بالمطر كأنَّه رسول الغيث أو مقدمة السحاب».

(٥٥)

إذا عـركتْ عجلٌ بنـا ذنبَ غيرِنـا
عركْنَا بتيمِ اللاتِ ذنبَ بني عجلِ

التخريـج

مجموعة المعاني (٨٠) والأغاني (١٧/١٩٤).

اللغــة

عجل: بنو لجيم بن صعب قبيلة كبيرة من بكر وائل، وأغاروا على بني نبهان فسبوا وتبعهم زيد الخيل فاستخلص كثيراً من السبي ثم أغار انتقاماً على أقربائهم تيم اللات. و«عركت بنا ذنب غيرنا»: حملت علينا بشرٍّ بذنب أتاه غيرنا. وفي اللسان: «عركه بشرٍّ»: كرره عليه (عرك).

تعليــق:

غير بعيد أن يكون البيتان من أبيات لزيد الخيل فمن عادته أن يصف الخيل في غاراته ولقاءاته ولكن ليس لدينا دليل مادي يقرب الظن من الحقيقة.

(٥٦)

أغْشَـاكُمُ عمـرُو عُيــوبَـاً كَثِيْــرَةً
وَمِن دُوْنِ عمــروٍ مَـاءُ دَجْلَةَ دَائِمُ

التخريـج

«المعاني الكبير»: (٥٧٨).

المعنــى

ابن قتيبة: «عمرو بن عبد الله بن خزيمة بن مالك بن نصر بن قُعين، وكان لعمرو جار من طيء فذهب بإبله، فيقول: فلكم بعد الذي أغشاكم عمرو من العيوب عيوب كماء دجلة كثيرة» (المصدر السابق). وفي أول البيت «خرم».

(٥٧)

إذَا أخْفَــرْكُم مَــرَّةً كــانَ ذَلــكُمْ
جِيَــادَاً عَلَى فـرْسَــانِهِنَّ العَمَــائِمُ

التخريــج

(المعاني الكبير: ١١١٣/٩٢٦)

قال ابن قتيبة: «وصف قوماً كانوا جيراناً لقوم. فقال: إنْ تَرَكَكُم هؤلاء وأخفروا ذمتكم غزاكم الناس لأنكُم إنَّما تَعِزُّون بهم، يقال أخفرتُ ذمة فلان أي غدرتُ به..» المصدر نفسه.

التعليــق

هل البيتان من قصيدة واحدة؟ الله أعلم، ولا يبعد؛ فكلاهما في الهجاء، وبين المعنيين قرب.

(٥٨)

وزرقٌ كَـسَتْـهُـنَّ الأَسـنّــةُ هَـبْــوةً
أَحــدُّ من المــاءِ الــزُّلالِ كلَيلُها

التخريــج

(المعاني الكبير: ١٠٤٢)

اللغـــة

الكليل في البيت غير الحاد قال ابن قتيبة: «زرق: نصال بيض، والأسنة المسانّ التي يحدد بها واحدها سنان، وهبوة: يعني من صفائها كأن عليها غبرة» (المصدر نفسه) ويجوز في «زرق» الرفع عطفاً على معطوف سابق والجر على تقدير «رب» بعد الواو.

كـأنَّ على أَعْجـازِهــا أُطْـرَ أَدْبُــرٍ
بَدتْ من شَفا ذي كِفَّةٍ ما يَـطولُها

التخريــج

(المعاني الكبير: ١٠٥٠)

اللغــة

قال ابن قتيبة: «أُطْر أَدْبر أي: أذناب زنابير، ذي كِفّة: يريد الجفير» والبيت في صفة نصال، والضمير المتصل في «أعجازها» للنصال.

التعليــق

أرجح أن يكون البيتان من قصيدة واحدة. (فهما) في صفة السلاح مع وحدة البحر والقافية، ولكن ابن قتيبة لم يقرن بينهما، ولا دليل لدينا على وجه الجزم.

(٥٩)

فـأقــسـم لا يــفــارقـنــي دُؤولٌ
أجــول بــه إذا كـثــر الضـرّاب

التخريــج

الأغاني (١٧/١٧٣)

اللغـة

نُؤول: اسم فرس من أفراسه. وقال صاحب سمط اللآلي «نؤول» (ص ٦٠).

(٦٠)

كـأنّ نعـامَ الـدوِّ باضَ عليـهمُ
وأعينُهم تحتَ الحـديـد خـوازِرُ

التخريـج

الشعر والشعراء (١٨٤) الحيوان للجاحظ (٤/٣٣٩) ونقد الشعر لقدامة (٣٩).

اختـلاف الروايـات

في الحيوان «فأحداقهم تحت الحديد» وفي رواية قدامة «وأعينهم تحت الحبيك».

اللغـة

يصف مقاتلين فرساناً لبسوا البَيْض، قلانس الحديد. والدوُّ: الفلاة، وخوازر جمع خازر وهو من ضَيَّق ما بين عينيه يريد تحديد النظر؛ أي: أنَّ فتحات عيون المخفر دون فتحات عيونهم فتبدو عيونهم كأنَّها ذات ضيق.

(٦١)

بـأبيضَ من أَبْكـارِ مُـزْنٍ سحـابـةٍ
وأَرْيِ دُبـورٍ شارَه النَحْـلَ عاسـلُ

التخريـج

اللسان (دبر)

اللغــة

الأري العسل، ودُبور جمع دَبْر، وهو النحل والزنابير، و «شاره النحلَ» أي من النحل، عاسل: جامع العسل.

فقُبِّحْتُمُ من وافـــدَيْنِ اصْـطُفيتُمــا
ومن وَدَجَيْ حَـرْبٍ تَلَقَّـحُ حـائـلُ

التخريــج

اللسان (ودج)

اللغــة

ودجي حرب: أخوي حرب متفقين وضالعين في إشعالها، قال ابن منظور «يقال للأخوين هما ودجان».

(٦٢)

لا رَبْــوُهــا مــمــا يُـخــاف ولا
تـمشـي بــراكـبـهـا عـلى عـثـم

التخريــج

شجر الدرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة لأبي الطيب عبد الواحد علي اللغوي، تحقيق محمد عبد الجواد.

الربو: الانبهار وهو تقطع النفس من تواتره. والعَثَم: إساءة الجبرْ ـ للعظم ـ حتى يبقى فيه أوَدَ كهيئة المشش (اللسان).

(٦٣)

إنِّي أرى في عامرٍ ذُو تَرَوْنْ

التخريــج

الكامل للمبرد ١١٤١/٣ (طبع مؤسسة الرسالة) ولم يتنبه محققه إلى أنَّه شعر، والشطر من البحر السريع المرفل.

اللغــة

قال المبرد: «. . . ذو في معنى الذي، قال زيد الخيل لبني فزارة وذكر عامر بن الطفيل، فقال (وذكر شطر البيت).

الفهـــارس العامـــة

- فهــرس الدراسة.
- فهــرس الأعلام.
- فهــرس القبائل.
- فهــرس الأماكن.
- فهــرس الأيام والوقائع.
- فهــرس القصائد والأبيات.
- فهــرس قوافي الشعر.
- فهــرس المراجع.

فهـرس الدراسـة

فهــرس الأعــلام

فهـــرس القبائـــل

فهـــرس الأماكـــن

فهــرس الأيـام والوقائــع

فهـرس القصائـد والأبيـات

فهرس قوافي الشعر

فهـــرس المراجـــع

١ - **أدب الكاتب**، ابن قتيبة، ليدن ١٩٠٠.

٢ - **الأزمنة والأمكنة**، المرزوقي الأصفهاني، ط. حيدر آباد.

٣ - **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، على هامش الإصابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤ - **الأسر والسجن في شعر العرب**، أحمد مختار البزرة، مؤسسة علوم القرآن، دمشق ١٩٨٥.

٥ - **الاشتقاق**: ابن دريد، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مصر ١٩٥٨.

٦ - **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧ - **الأعلام**، الزركلي، ط. ٥، دار العلم للملايين.

٨ - **الأغاني**، أبو الفرج الأصفهاني، ط. دار الثقافة، بيروت - دار الكتب - ساسي.

٩ - **الاقتضاب**، ابن السيد البطلوسي، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣.

١٠ - **أمالي ابن الشجري**، ط. ١ حيدر آباد الدكن، ١٣٤٩ هـ.

١١ - **أمالي الزجاجي**: الزجاجي أبو إسحاق، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ١٣٨٢ هـ.

١٢ - **أمالي القالي**: أبو علي القالي، ط. دار الكتب.

١٣ - **إمتاع الأسماع**: المقريزي، تقي الدين أحمد، ت: محمود محمد شاكر.

١٤ - **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**: ت: محمد محيـي الدين عبد الحميد، ط. ٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٠.

١٥ - **أيام العرب في الجاهلية**: محمد أحمد جاد المولى، طبعة عيسى البابي الحلبي، مصر.

١٦ - **تاج العروس من جواهر القاموس**: محمد مرتضى الزبيدي، ط. الخيرية، مصر ١٣٠٦ هـ.

١٧ - **تاريخ الطبري**: (تاريخ الرسل والملوك)، ط. دار المعارف، مصر ١٩٦٦. دار الاستقامة مصر ١٩٣٩. دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨ - **تهذيب تاريخ ابن عساكر**: ط. روضة الشام ١٣٣١ هـ.

١٩ - **جمهرة أشعار العرب**: أبو زيد القرشي، ت: محمد علي البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة.

٢٠ - **جمهرة أنساب العرب**: ابن حزم علي بن أحمد الأندلسي، ت: عبد السلام محمد هارون، ط. ٤، دار المعارف، مصر.

٢١ - **جمهرة اللغة**: ابن دريد أبو بكر، ط. ١، حيدر أباد، ١٣٤٤ هـ.

٢٢ - **حلية الفرسان وشعار الشجعان**: علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، تحقيق: محمد عبد الغني حسن.

٢٣ - **حماسة ابن الشجري**: ط. دار المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، ١٣٤٥ هـ.

٢٤ - **حماسة أبي تمام**: شرح التبريزي، بولاق.

٢٥ - **حماسة البحتري**: ط: ليدن ١٩٠٩، الرحمانية، بعناية كمال مصطفى، مصر ١٩٢٩.

٢٦ - **الحماسة البصرية**: صدر الدين أبو الفرج بن الحسين البصري، ت: مختار الدين أحمد، حيدر أباد، الهند ١٩٦٤.

٢٧ - **الحيوان للجاحظ**: ت: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٣٦٦ هـ.

٢٨ - **خزانة الأدب**: عبد القادر البغدادي، بولاق (١٢٩٩ هـ)، مصورة.

٢٩ - **الخصائص**: أبو الفتح بن جني، ت: محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب، مصر.

٣٠ - **ديوان امرىء القيس**: ت: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف ١٩٥٨.

٣١ - **ديوان الحطيئة**: لابن السكيت، ت: نعمان طه، القاهرة ١٩٥٨.

٣٢ - **ديوان كعب بن زهير**: صنعة أبي سعيد السكري، دار الكتب مصر ١٩٦٥، (مصورة).

٣٣ ـ **ديوان المتنبي**: شرح العكبري، ت: مصطفى السقا، مصر ١٩٣٦.
٣٤ ـ **ديوان المتنبي**: شرح الواحدي، تحقيق وفهرسة فريدريج ديمتريص، ط. برلين ١٨٦١، صادر عن دار المثنى ببغداد.
٣٥ ـ **ديوان المعاني**: أبو هلال العسكري، ط. القاهرة ١٣٥٢ هـ.
٣٦ ـ **الروض الأنف**: عبد الرحمن السهيلي، ت: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة، مصر ١٩٦٧.
٣٧ ـ **سرح العيون**: شرح رسالة ابن زيدون، لجمال الدين محمد بن نباتة المصري، ط. ١، ١٩٥٧.
٣٨ ـ **سمط اللآلىء**: البكري، ت: عبد العزيز الميمني، القاهرة، ١٩٣٦.
٣٩ ـ **سيرة ابن هشام**: ت: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مصطفى السقا، البابي الحلبي ١٩٥٥، دار الفكر، القاهرة.
٤٠ ـ **شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة**: أبو الطيب عبد الواحد علي اللغوي، ت: محمد عبد الجواد.
٤١ ـ **شرح أبيات المغني**: البغدادي عبد القادر، دار المأمون للتراث، دمشق ١٩٧٥، ت: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق.
٤٢ ـ **شرح نهج البلاغة**: المجلد الأول، منشورات دار الحياة، بيروت ١٩٦٣.
٤٣ ـ **الشعر والشعراء**: ابن قتيبة، ط. دار الثقافة، بيروت.
٤٤ ـ **شواهد العيني على الخزانة**: (خزانة الأدب).
٤٥ ـ **الصحاح**: تاج اللغة، الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور العطار، ط. ٢، ١٩٨٢.
٤٦ ـ **صحيح البخاري**: (فتح الباري) ابن حجر العسقلاني، ت: عبد العزيز بن باز وآخرون، المكتبة السلفية، مصر.
٤٧ ـ **صحيح مسلم** ـ بشرح النووي ـ دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٨ ـ **عجالة المبتدي وفضالة المنتهي**: أبو بكر محمد بن عثمان الحازمي، ط. القاهرة ١٩٧٣.
٤٩ ـ **عقد الأجياد في الصافنات الجياد**: تأليف: محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري الحسيني، المكتب الإسلامي، دمشق.
٥٠ ـ **العقد الفريد**: ابن عبد ربه الأندلسي، ت: أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٥.

٥١ ـ **الفاضل**: المبرد أبو العباس، ت: عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦.
٥٢ ـ **فحولة الشعراء**: الأصمعي، المطبعة المنيرية، الأزهر.
٥٣ ـ **الفهرست**، ابن النديم، ت: رضا تجدد، مطبعة دانشكاه بطهران، وطبعة دار المعرفة، بيروت.
٥٤ ـ **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي.
٥٥ ـ **كتاب الاختيارين**: تأليف: الأخفش الأصغر، ت: فخر الدين قباوة، ط. هاشم الكتبي، دمشق ١٩٧٤.
٥٦ ـ **كتاب المحبر**: محمد بن حبيب، ط. دار المعارف العثمانية ١٣٦١ هـ ـ ١٩٤٢ م.
٥٧ ـ **الكامل**: المبرد محمد بن يزيد، ط. لايبزغ ـ دار الرسالة، بيروت.
٥٨ ـ **الكامل في التاريخ**: ابن الأثير محمد بن محمد، دار صادر، بيروت (مصورة).
٥٩ ـ **الكتاب**: سيبويه، بولاق.
٦٠ ـ **لباب الآداب**: أسامة بن منقذ، ت: أحمد محمد شاكر، مكتبة لويس سركيس، القاهرة ١٣٥٤ هـ.
٦١ ـ **مجمع الأمثال**: للميداني البهية، ١٣٤٢ هـ.
٦٢ ـ **مجموعة المعاني**: طبعة الجوائب قسطنطينية، ط. ١، ١٣٠١ هـ.
٦٣ ـ **المخصص**: ابن سيدة، ط. بولاق.
٦٤ ـ **المعاني الكبير**: ابن قتيبة، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٦٨ هـ.
٦٥ ـ **معجم البلدان**: ياقوت الحموي، ط. السعادة، مصر ١٣٢٣ هـ.
٦٦ ـ **معجم الشعراء**: المرزباني، ت: عبد الستار فراج، مصر ١٩٦٠.
٦٧ ـ **معجم القبائل العربية**: تأليف عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. ٢، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.
٦٨ ـ **معجم ما استعجم**: الوزير عبد العزيز البكري، ت: مصطفى السقا، القاهرة، ١٣٦٤ هـ ـ ١٩٤٥ م.
٦٩ ـ **معجم مقاييس اللغة**: أحمد بن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، ط. ١٣٦٦ هـ.
٧٠ ـ **المقتضب**: المبرد، ت: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

٧١ ـ **النقائض**: أبو عبيدة، ط. دار الكتاب اللبناني (مصورة عن ط. ليدن).
٧٢ ـ **نقد الشعر**: قدامة بن جعفر، ت: كمال مصطفى ـ مصر.
٧٣ ـ **نهاية الأرب**: النويري، ط. دار الكتب ١٣٤١ هـ.
٧٤ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**: ابن الأثير محب الدين، المطبعة العثمانية، ١٣١١ هـ.
٧٥ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**: لابن الأثير، ت: طاهر أحمد الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٧٦ ـ **الوحشيات**: لأبي تمام، ت: عبد العزيز الميمني، دار المعارف، مصر.
٧٧ ـ **النوادر في اللغة**: أبو زيد الأنصاري، المطبعة الكاثوليكية، ١٨٩٤.